108
من الأدب الساخر

وضاع العمر يا وطنى

يوسف معاطى

Ahmed Mady
مكتبتنا
عالم لا ينتهى من الكتب

الدار المصرية اللبنانية

http://www.maktbtna2211.com/

بسم الله الرحمن الرحيم

وضاع العمر يا وطنى

©

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت تليفون: 23910250
فاكس: 23909618 ـ ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

رقم الإيداع : 3370 / 2008
الترقيم الدولى : 9 - 372 - 427 - 977

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية : ربيع آخر 1429هـ ـ مايو 2008م
الطبعة الثالثة : محرم 1430هـ ـ يناير 2009م

المحتـويات

المقدِّمة	9
وضاع العمر يا وطنى	13
نعم يا حبيبى نعم	17
كوابيسكو	21
ولا احنا هنا	26
ما أجهلنا	30
صوّتوا لخوفو	34
إجاباتى النموذجية	38
مصر التانية	42
بصل بالصدفة	46
ورينى كده	49
الطريق إلى البنك	52
فتحية الجنيَّة	56
أتاك الربيع الطلق .. لأ مجاش	59
ابن حلال مصفّى	62

تيك كير	65
قصة أهلاااان	68
واحشنى يا راجل	72
كرامات الشيخ على	76
الغلط فين	80
فوزى بتاع زمان	84
نظام عبد الدايم	88
شريط حياتى يا عين	92
ما تجيب بوسة	96
الشعر الأبيض لا ينفع فى اليوم الأسود	100
كسف أصبحت كاتبًا ؟	104
ومن البرد ما قتل	108
لقد تغيَّرتُ تمامًا	111
الحال من بعضه	115

المقـــدمـة

أحيطكم علمًا بأن المقدمة – أيـة مقدمـة – هـى شـىء يـضعه دائـمًا المؤلفون فى بداية كتبهم ، وغالبًا ما يتجاوزهـا القـراء – حـضراتكم – دون أن يقرأوا حرفًا منها .. ولقد فكرت كثيرًا ، وحاولـت أن أؤلـف كتبًا بلا مقدمات ولكننى تراجعـت بـسرعة خوفًـا مـن أن أشـذ عـن القاعدة، فيبدو كتابى بلا مقدمة مثـل الـديك الشركـسى يمـشى بـين أقرانه الديوك بلا عرف ، إذًا كتابة المقدمة صارت عرفًـا ، وكـل كتبـى السابقة كانت دائمًا تبدأ بالمقدمـة ، ولكننـى فى هـذه المـرة ، ومـع هـذا الكتاب أفصحت على استحياء للأسـتاذ محمـد رشـاد النـاشر الكبـير والصديق العزيز عن رغبتـى فى ألاَّ أكتـب مقدمـة ، فحـدجنى بنظـرة غاضبة كأننى قلت حاجة أبيحة ولا حاجة ، وقـال إزاى يعنـى؟ لازم تكتب مقدمة ، ولما كان اتفاقنـا منذ سنوات عديدة حينما بدأ ينـشر لى ،

أن أسمع الكلام فقد سمعنا وأطعنا ، لأننى إذا لم أسمع الكلام هو لن ينشر الكلام .

ولما كان صديقى الناشر لا يتفاهم ، فأحب أن أبرر لحضراتكم رغبتى فى عدم كتاب المقدمة هذه المرة ، الحكاية أننى صرت أشفق على القارئ ، فأنتم محاطون بغزوة كلامية رهيبة تكاد تطبق على أنفاسكم ، فأنتم يوميًّا ترون أمامكم آلاف الجرائد والمجلات ومئات القنوات الفضائية ، فهل عندكم الوقت والبال والمرارة لكى تتحملوا مقدمة؟ ثم إن عنوان الكتاب « وضاع العمر » يشى بالحالة التى نحن عليها فلا داعى لإضاعة دقائق أخرى من أعماركم فى مقدمات ؟ ثم إننى صرت هذه الأيام بخيلاً بعض الشىء فى الكلام ، ولا أعلم لماذا ؟ هل لأننى ظللت أربعة وأربعين عامًا أتكلم فى الفاضية والمليانة ؟ إن زوجتى بدأت تقلق فعلاً ، وتسألنى ذلك السؤال عشرين مرة فى اليوم الواحد : ساكت ليه ؟! فعلاً لقد بدأت أستمتع بصمتى بدرجة كبيرة ، تمر الساعات الطوال دون أن أفتح فمى ، مكتفيًا بالإيماءات التى تؤدى للمعنى بسلاسة وهدوء ، أريد أن أشرب شايًا مثلاً ، أشير للمدام بإصبعين كأننى ممسك بالكوب فتأتى بالشاى ، أريد أن آكل أشير إلى فمى بإصبعين ، فنأكل .

أول أمس طوال اليوم نطقت بأربع كلمات فقط « صباح النور » .. حينما قالت لنا زوجتى صباح الخير ، و«بيض بالبسطرمة» حينما

تفضلت علينا بسؤالها التاريخى .. تفطر إيه ؟ وبالأمس لم أنطق سوى بكلمتين وحرف جر ، « وانت من أهله » .. ما أروع ألاَّ نتكلم ، إن أعمارنا تضيع فى الكلام ، الأربعون عامًا الأولى فى حياتنا هى النصوص ، وما يليها من الأعوام هو التعليق على النصوص ، ولقد تأملت النصوص التى أضعت عمرى وعمركم فيها فوجدت أننا كنا نريد دائمًا أن نفعل شيئًا لهذا الوطن الذى أحببناه لدرجة العبادة ، ولقد ملأنا آلاف الصفحات كلامًا مليئًا بالأمنيات الجميلة والأحلام البراقة، وضاع العمر يا وطنى .

ولذا ، عذرًا يا صديقى الناشر الكبير ...

عذرًا يا عزيزى القارئ ..

بلا مقدمات .. نتوكل على الله .. ونخش فى الموضوع .

المؤلف

وضاع العمر يا وطنى

فعلاً .. لقد تحولنا جميعًا إلى كائنات ريموتية ، حيث ينجعص كل منا على كنبة ممسكًا بالريموت كونترول ، ويظل يغير فى القنوات دون أى تركيز على شىء معين، وكأننا نبحث عن شىء لا نعرفه أصلاً أو ليس له وجود ، تتلاحق الصور والعبارات مع كل ضغطة على الريموت ، ولأصحبك معى يا عزيزى فى رحلتى الفضائية بين المحطات ، فهذا شيخ يبكى من فرط الخشوع والإيمان ، وهذه مذيعة فى الجزيرة تلقى ببالغ الأسى خبرًا عن انفجارات فى بغداد والجزائر ، وهذا سعد الصغير يغنى البلح البلح ودينا ترقص بجواره ، وهذا هدف يحرزه رونالدينهو ويجرى مبتسمًا ، وهذه فتاة واقفة تتمايل وهى تسأل المشاهدين أسئلة غاية فى التفاهة والتليفونات تنهال عليها ، وضاع العمر يا وطنى . ساعات طويلة يلتهمها الإعلام من عمر الوطن وزكى رستم فى فيلم نهر الحب يقول لفاتن حمامة – قال إيه – دقيقة تفرق فى حياة شعوب يا آمال !!!

كل هذا وشعب الصين الشقيق نازل حرت شغال ليل نهار مابيونش، ياليتنا نملك ريموتًا نتحكم به فى مشاهد حياتنا .. عمومًا :

لا تحمل همًّا .. كل مشكلة مهما كانت مستعصية ، لها حل .. فقط اجلس أمام التليفزيون والريموت فى يدك .. وكل الأمور مقضية بعون الله .. والحلول كلها دليفرى .. تأتى لك حتى باب بيتك ويضاف عليها فقط سعر الشحن .. أنت مثلاً تعانى من مرض السكر ودايخ السبع دوخات بين الأطباء والمستشفيات .. وعلى إيه ده كله!! كل أدوية السكر والأنسولين هى من صناعة الغرب الكافر المنحل .. والله يا أخى لو الشفا ييجى على أيديهم يغور من وشهم .. عسل السدر الجبلى خلص ع الموضوع .. يتساءل أحدهم وكيف نعرف عسل السدر؟ يرد الخبراء عسل السدر ح تلقاه لون شجر السدر بالضبط.. يتساءل آخر وما هو لون شجر السدر؟ فيرد الخبير .. ح تلقاه لون عسل السدر بالضبط .. ويطلع أحدهم فى نهاية الإعلان ليحكى عن تجربته من عسل السدر .. ويقول أنا كنت باحس بدوخة وأطرافى منملة علطول .. لغاية ما ابتديت آخد عسل السدر .. دلوقت باكل كل حاجة .. هذا بالنسبة للسكر .. أما بالنسبة للضغط الذى استفحل وانتشر هذه الأيام .. فعلاجه من أبسط ما يكون .. عليك وعلى الشيخ جمال بتاع إمبابة والشيخ جمال يمسك مريض الضغط من قفاه مسكة ما يمسكهاش مخبر .. حتى ينزل الدم الفاسد الأسود وهى

طريقة معروفة اسمها الحجامة .. تفوق بعدها علطـول .. ولا صـداع بأه ولاوجع دماغ تانى .. ظبطنا السكر والضغط .. نخش عـلى المفيـد بأه .. أنا عارف انت إيه اللى تاعبك .. إنما بعون الله سهلة .. عليك وع الشيخ العطار .. عامل خلطة أعشاب تقوِّم قطر .. تخليـك لا مؤخـذة واحد تانى شكلاً وموضوعًا .. نيجـى بـأه لحكايـة الـرزق ، اطلـع الشيخ إبراهيم أبو العيون ودا أستاذ السحر بالقرآن، بس ياريت تروح له من طرف حد من حبايبه عشان ده الطوابير عليه بالكوم .. جلستين معاه وع الخير اللى ح ينزل عليك زى المطر .. خلاص يا عم .. فيـه أى مشاكل .. روح نام بأه واشبع نوم .. شفت إيه فى المنام ؟! حلمت إنك قال راكب مركب فى عرض البحر .. والموج عالى وراح جاى طير كبير ماتعرفش ده نسر ولا رخ .. وراح واخدك من وسطك .. وطاير بيـك لحد ما وصلت البر وراح عامل لاند ينج ونزلت بالسلامة .. ورحـت قايم من النوم .. تعمل إيه !! تطلـب الـشيخ سـيد حمـدى علطـول .. أصل الأحلام دى مش عاوزه اللى يهملها .. أحسن تتطور بعد كده .. لازم تلحقها من الأول .

وهكذا يا عزيزى .. هل ترى أى مشكلة أمامك ؟! ألم أقل لك إنها سهلة .. سهلة خالص .. ماذا يتبقى ؟! آه .. أنت خايف مـن بكـره .. اطمأننت على الحاضر .. ولكن ماذا عن المـستقبل ؟ اطلـب الألوسـى الفلكى ح يقولك على كل حاجة وح يطمنـك، والـشيخ عـلى خليفـة

يعمل لك حجاب يخليك تفوت فى الحديد .. وقد اتصل أحد المشاهدين ذات مرة بالبرنامج .. الحقنى يا سيدنا الشيخ .. الحقنى فجأة دلوقت وأنا باتفرج على البرنامج الدنيا ضلمت فى عينى أنا مش شايف مش شايف!!! ارتبك الشيخ والمذيعة التى بجواره . سأله الشيخ دى أول مرة تحس بفقدان البصر؟ أجاب الرجل مذعورًا .. أيوه يا مولانا .. قال الشيخ ده عمل معمول لك يا أخى .. خد حجاب الشفاء من العمى أهوه قدامك على الشاشة، ونزل الحجاب على الشاشة قال الرجل .. بقولك مش شايف يا عم الشيخ شاشة إيه!! قال الشيخ .. إذًا قول ورايا .. وبدأ مولانا فى تلاوة تعويذة الشفاء من العمى .. وسبحان الله بقدرة قادر صرخ المشاهد فرحًا .. هييه .. هييه أنا شايف .. النور جه .. قال الشيخ .. نور إيه !! قال المشاهد .. أصلهم كل يوم يقطعوا الكهرباء فى الوقت ده ماتجيش إلاَّ تانى يوم الصبح .. ربنا يباركلك يا مولانا .

نعـم يا حبيبى نعـم

لم تذكر لنا البرديات القديمة فيما إذا كـان الملـك خوفـو قـد عمـل استفتاء للشعب المصرى أيام الأسرة الرابعة فى الدولة القديمـة حـول فكرة بناء الهرم الأكبر ، لكنـى أعتقـد أنـه فعلهـا ولابـد أن المـصريين القدماء « أجدادنا » قالوا نعم طبعًا .. ولم يكـن أمـام المـصرى القـديم أيام خوفو خيار آخر سوى «نعم» فقد كان الاستفتاء الفرعونى هكذا: إذا كنت توافق على بناء الهرم قل نعـم، وإذا لم توافـق قـل نعـم برضـه أحسن لك ، وقد كان المصرى القـديم أيـام الدولـة الفرعونيـة يعلـم أولاده ويربيهم عـلى أن يقولـوا نعـم دائـمًا، ليـضمن لهـم حيـاة آمنـة ومستقبلاً رائعًا .. فهذا أب فرعونى يـدلل ابنـه الـصغير سـا – رع .. قول يا سا – رع يا حبيبى .. نعم .. حاول أن تنطقها .. نعم. هذا قبـل أن يتعلم كيف يقول بابا وماما ، وتضحك الأسرة كلها سعيدة بالولـد الذى بدا مبشرًا بذكائه الخارق .. وتـشير الأم إلى الأب وتـسأل سـا – رع .. مين ده يا حبيبى ؟! ينظر الولد نحو أبيه ويقول بطفولة جميلـة ..

ده نعم .. أجيب لك تاكل إيه يا ضنايا ! يرد الطفل .. آكل .. نعـم ... وبنينا الأهرامات المعجزة التى أذهلت الدنيا كلها .؟ وظلت كلمة نعم هى الكلمة السرية التى صنعنا بها مجدنا وحـضارتنا لآلاف الـسنين .. السلطة تحبها .. والشعب لا يحرمها من « نعم » أبدًا .

وقد اشتق المـصرى مـن نعـم مفـردات أخـرى تـؤدى إلى النتيجـة نفسها، فنحن مثلاً نقول حـاضر .. يعنـى نعـم .. وكلمـة حـاضر بهـا مغزى مصرى عبقرى .. فمعنى أن أكون حاضرًا معناه نعم علطول .. إن مجرد الحضور هو موافقة .. ثم اشتققنا كلمة جديدة .. أيوه .. وأيوه طبعًا يعنى نعم ولـذا عبـدالحليم حـافظ لـيس فقـط مـن تغنـى بـنعم ياحبيبى نعم، محمد فوزى أيضًا غنى أيوه الله أيوه الله، وعظمـة شـعبنا الطيب أنه ما إن تصدر حكومتنا قـرارًا جديـدًا حتـى يقولهـا فى نفـس واحد طيب.. وطيب يعنى إيه؟! يعنى نعم، وإذا قلت نعم ستجد مـن يقول لك فورًا : نعم الله عليك .

هكذا هذه هى جائزة نعم، أن تنهال عليك نعم الله سبحانه وتعـالى .. ثم افرض يعنى إنك لا تريد أن تقول نعم – ما هو فيه نـاس مجـانين برضه – لا تقل شيئًا .. اصمت .. والسكوت علامة الرضا .. يعنى إذا حتى لم تقل نعم . فأنت تعنى نعم .. ولفظة أخرى تعنى نعـم .. وهـى «ماشى» لاحظوا معى بلاغة التعبير .. ماشى!! إن المصرى لا يريـد أن يوقف سير الأمور .. ماشى يا سيدى ونحن نهز رءوسنا للأمام دائمًا ..

لتعنى نعم . ونرفع أيدينا فى مجلس الشعب .. لنعنى موافقة ، ومنذ قامت الثورة ونحن ننتخب رؤساءنا يوم الاستفتاء ونقولها .. نعم ، وكانت النتيجة دائمًا 99.9 فى المائة .. وبنينا السد العالى وبرج القاهرة وانتصرنا فى حرب أكتوبر .

وحينما قرر الرئيس السادات أن يذهب إلى إسرائيل ويعلن مبادرة السلام .. هل فعلها هكذا .. دون أن يستفتى شعبه ؟! لا طبعًا وعمل استفتاء .. أروح ولا ما أروحش؟! وقلنا نعم .. روح يا ريس .. ولايستطيع العالم أن ينكر أن شعبنا عفريت استفتاءات .. لهلوبة فعلاً .. عنده حساسية مفرطة تجاه أى استفتاء تعمله الحكومة .. إنه يشعر أن الحكومة .. تتحرش به أو تختبره .. نعم ولا لأ .. ما ترد .. وبصياغة مصرية عبقرية يقولها .. نعم يا باشا طبعًا.

وأنا أعتقد أن عملية الاستفتاء ترجع إلى عصر بعيد، ربما قبل الملك خوفو أيضًا .. ربما تعود إلى أيام الملك مينا موحد القطرين الشمالى والجنوبى ، والذى عمل استفتاء على الاستفتاء . وقال .. نمشيها استفتاءات ولا لأ .. وخرج المصريون جميعًا وقالوا نعم .. نعم طبعًا يا مينا .. وراح مينا موحد القطرين علطول بأه القطر الشمالى يقول نعم، والجنوبى يقول نعمين.

وعبقرية نعم فى كونها كلمة مناسبة لكل أحوالنا .. فى أى زمان ومكان، عندك مثلاً إذا تعبت شوية وشعرت بآلام مبرحة .. ماذا

تقول؟ .. تقول آه .. وآه يعنى إيه ؟ يعنى نعم .. وإذا كنت تكلم أحدًا ولم يسمعك .. إنه لا يقول لك إننى لم أسمعك وماذا كنت تقول !!، وإنما يقول .. نعم ؟ حتى برغم أنه لم يسمعك إنما يقول برضه نعم .. وإذا كلمت أحدهم على التليفون يرفع السماعة ويقول نعم .. إنه موافق قبل أن يعرف حتى من الطالب، وإذا أراد العربجى على العربية الكارو أن يوقف الحمار ماذا يقول له؟ يس وYES يعنى إيه ؟ نعم برضه « بس بالإنجليزى »، عرفتم بأه يا إخوانى قيمة نعم ، وكم هى محفورة فى قلوبنا تلك الكلمة السحرية . عرفتم أم لا .. نعم!! نعم طبعًا . كل هذا دار بذهنى وأنا ذاهب يوم الاثنين الماضى لأقول نعم فى استفتاء التعديلات الدستورية الجديدة .. ولنتأمل أحرف الكلمة حتى نعرف روعتها: نعم .. النون نفسى أقول نعم .. والعين عاوز أقول نعم ، والميم ما أنا قلت نعم بأه .

كـوابيسـكـو

مَا الذى أتى بى إلى هنا ؟! وحدى واقفًا فوق برج القـاهرة أتفـرج على مصر من هذا الارتفاع الشاهق !! كيف لمن هو مثلى مريض بفوبيا الأماكن العالية أن يخاطر هكذا ؟! إننى حتى لا أجرؤ أن أنظر إلى تحت .. يا ساتر يارب !!

لماذا يشيِّد البشر هذه المبانى الشاهقة ؟! لو كنت فى مركـز التجـارة يوم 11 سـبتمبر لأخـذت الطـائرة المرتطمـة بـالمبنى بالحـضن .. ولمـا جرؤت أن أقفز كما فعل البعض ، بـدأت أدوخ فعـلاً .. سـقط قلمـى فجأة من جيب القميص منتحرًا من فوق الـبرج . فى سـتين داهيـة .. يعنى كان ح يقـول إيـه ولا ح يكتـب إيـه !! مـا هـذا !! هـل الـسور الحديدى الذى أستند عليه ينكسر وأنا .. أسقط من فوق الـبرج !!! لم أستطع أن أتشبث بأى شىء، أهوى بكل سرعة إلى الأرض .. الجاذبية الأرضية تشفطنى بكل قوة إلى أسفل .. يـارب انقـذنى .. وأنـتم أيهـا الواقفون أسفل البرج . افعلوا شيئًا .. افردوا ملاءة .. وانتظرونـى بهـا

لا وقت للتفكير أرجوكم .. إن سرعة نزولى شديدة .. لقد بلغت منتصف المسافة فى أقل من خمس ثوان .. وأنتم تنظرون نحوى بدهشة كالأصنام؟!! يا ناس .. رجل يسقط من فوق البرج .. تصرفوا أرجوكم .. لقد اقتربت جدًّا .. جدًّا ولكن .. أيعقل هذا ! أنا أسقط من فوق البرج ؟! كيف .. لابد وأننى أحلم !

فعلاً أنا أحلم .. هذا لا يصلح إلاَّ أن يكون حلمًا .. الله ! ما أروع هذا فعلاً إنه فقط مجرد حلم .. إذن لا خوف من سقوطى .. لابد وأننى الآن نائم على سريرى، وسأستيقظ بالتأكيد، كثيرًا ما يحدث لى ذلك .. وطبعًا يحدث لكم ، أن تشعر أثناء الحلم أنك تحلم .. حدث ذلك حينما كانت عصابة تطاردنى وكانوا يطلقون النار علىَّ وأنا أجرى مرعوبًا ثم تسمرت قدماى فى الأرض وأنا أصرخ .. والعصابة تقترب والشرر فى عيونهم، سيفتكون بى ! إلى أن أدركت – فى الحلم – أننى أحلم .. فابتسمت والتفت نحو العصابة بكل ثقة .. وأفقت من نومى.

ومرة غرقت فى رمال ناعمة فى الصحراء . وأخذت أغوص وأغرق حتى كادت الرمال تغطى وجهى وأختنق، ثم أدركت أننى أحلم فكان لغرقى فى الرمال طعم رائع .. ما أروع تلك الكوابيس عندما نكتشف فى حينها أنها مجرد أحلام .. لنفيق بعدها على الواقع الجميل، وهو أننا لانزال فى البيت فى حجرة النوم .. ألستم معى فى أن

الكوابيس التى تأتى لنا أفضل من الأحلام الجميلة . فقط درِّبوا اللاوعى عندكم أن يعرف فى اللحظة المناسبة أن ما يحدث الآن هو كابوس سينتهى بسرعة لتعود الحياة هادئة جميلة مستقرة .. أما الأحلام الجميلة فصدقونى هى من أسوأ ما نمر به فى حياتنا، وأعطيكم مثلاً حيًّا يوم السبت الماضى .. كنت جالسًا مع السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية .. كان متفائلاً جدًّا وبشوشًا قال لى أخيرًا وقعنا اتفاقية السوق العربية المشتركة .. حالة رائعة من الوئام والاتحاد والحب تسود المنطقة العربية .. ثم ابتسم ابتسامة رائعة وقال لى بود : وحكاية العراق كمان خلصت يا سيدى .. وحماس وفتح قعدوا مع بعض وحلوا كل مشاكلهم .. لم أستطع أن أتمالك مشاعرى من الفرحة أخذت أرقص .. وأصفق فى سعادة . وللأسف أفقت من حلمى على الواقع المرير .. لماذا لا يدرك الإنسان وهو يحلم حلمًا جميلاً أنه مجرد حلم ؟! لماذا نفيق من أحلامنا الجميلة على الإحباط والاكتئاب؟! بالأمس القريب جاءنى أحد المنتجين وأخرج من حقيبته مائة ألف جنيه .. رصهم أمامى ثم ابتسم وقال امسك دول .. قلت له بتوع إيه دول ؟ أجاب دول مش أجرك دول مكافأة منِّى تقديرًا لعبقريتك .. لم أصدق نفسى .. أخذت أعدهم فإذا بهم مائة وخمسين ألفًا قلت .. له .. هناك خطأ فى الحساب .. الفلوس دى زيادة، قال: علىَّ النعمة ما ترجعهم يا سيدى .. الألوف عند بعضها ..

كانت لحظة من أسعد اللحظات التى مررت بها فى عمرى كله .. لم يقطعها سوى أننى صحوت من نومى فجأة لأقرأ فى الجرائد خبر هروب المنتج من البلاد .. وقد أكل علىَّ أكثر من نصف أجرى .

وذهبت إلى الساحل هاربًا من أحلامى .. تمددت على الشاطئ كان الكل نائمين ، لا أعرف كيف يأتى الناس إلى البحر وينامون ؟! أنا لاأستطيع أن أغمض جفنى أمام البحر .. إننا لا نصيف فقط بأجسادنا .. وإنما بأعيننا أيضًا وفجأة خرجت من البحر جنية من الجنيات اللاتى لا يظهرن إلاَّ فى الأساطير، عذرًا لا تقلقوا فقد أتانى نفس الهاجس الذى أتاكم الآن .. لا لم أكن نائمًا .. قرصت نفسى قرصة وضربت خدى ضربتين .. وإذا أنا فى كامل يقظتى، كانت ترتدى ذلك المايوه الذهبى الذى تناغم مع شعرها الذهبى المجنون فجعل المشهد لا يليق به .. أن يكون واقعًا، وإنما لابد أن يكون حلمًا ولكنه لحسن الحظ واقع رائع لا أريد أن أصف لكم مقاييس جسمها .. إنما تكفى كلمة «قنبلة» لتفى بالمعنى .. وفجأة اقتربت منى القنبلة وكم تمنيت أن تنزع الفتيل وسألتنى بدلال .. لماذا تنظر نحوى هكذا ؟! قلت لها وهل يجرؤ مخلوق ألاَّ ينظر نحوك هكذا ؟! ابتسمت فى ثقة وقالت .. ماذا تريد منِّى ؟! كان السؤال مفاجئًا أشبه بعطشان فى الصحراء وجد أمامه مصنع أيس كريم ويسأله أحدهم عاوز مانجه ولا فانيليا !! لاحظت هى ارتباكى ضربتنى بيدها الطرية على كتفى وقالت اهدأ

المسألة بسيطة أنا فتاة أحلامك !! صرخت فيها مـذعورًا يعنـى إيـه .. يعنى أنا دلوقت بحلم ؟! وأفقت للأسف الشديد من حلم رائع لأجد نفسى – تصورروا - لازلت واقفًـا فـوق الـبرج مـستندًا عـلى سـوره الحديدى الملخلخ، يبدو أننى أخذت لى تعسيلة فى وقفتـى ولا حاجـة، أو أن الأحلام دخلت فى بعضها.« آه .. ما أبـشع الأحـلام ومـا أروع الكوابيس .. يا أعزائى » .

ولا احنا هنا

والله إنى لأعجب .. وأندهش .. بل وأنحنى احترامًا لتلك العبقرية المصرية فى التعامل مع الكوارث والمصائب .. تلك الطريقة الفذة التى انفرد بها شعبنا دونًا عن سائر الشعوب الأخرى .. إن المصرى لا يعترف بأى شىء سلبى يحدث له .. وليس هذا التفاؤل فى طبيعته لا سمح الله .. ولا برود فى دمه – أعوذ بالله – وإنما لأنه يمتلك نظرة فلسفية ليس لها أى مبرر تجعله ينظر باستخفاف إلى أى مصيبة .. ولا كأنها حصلت من أساسه .

تلك النظرة التى واجه بها المصرى القديم الهكسوس وهم يدخلون مصر على عرباتهم الحربية وكلهم همجية وفرحة حيوانية بالانتصار الساحق .

والمصرى القديم ولا هو هنا .. ينظر نحو الإله بتاح .. ويبتسم فى ثقة .. ح يعملوا إيه الهكسوس يعنى .. عاوزين يقعدوا .. ما يقعدوا ..

والسيناريو نفسه تكرر مع الرومان والإغريق والفرنساويين والإنجليز وحتى الألمان .. انظر إلى المصرى حينما يزور مريضًا .. لا جزع ولا توتر .. وإنما ينظر نحو المريض الذى يكاد يحتضر أمامه ثم يقول له ببساطة : ما انت زى القرد أهوه .. أمال بيقولوا عيان .. ما بلاش السلبطة دى !! وانظر إليه حينما يسمع خبر موت فلان .. تجده يقول ببساطة .. استريح ... حد لاقى الموتة دى !! ببساطة شديدة يقول المصرى يا عم ح تفرج .. ما حدش بينام من غير عشا !! ولهذا ياأعزائى .. نتكاثر نحن المصريين بتلك الصورة الفظيعة .. ولا تحديد نسل نافع معانا ولا وسائل منع الحمل شغالة فى البلد دى .. ومهما شيَّدنا كبارى فوق الأرض وأنفاقًا تحت الأرض .. نملؤها بالبشر بعون الله فى ظرف عشر دقائق .

وتخيل سعادتك – ولماذا تتخيل ما انت مجرب كل ده – أن تستيقظ من نومك فتشرب كوبًا من الماء الذى إذا مر على فيلتر ستكتشف أنك تشرب كوبًا من السبانخ .. ثم تفتح الشباك لتستنشق الهواء الذى إذا مر على فيلتر ستكتشف لماذا يستخدم المصريون عمال على بطال كلمة «زفت» فى حوارهم اليومى .

نفطر بأه .. طبق الفول المتين ورغيف العيش بزلطه ومساميره .. خراسانة جاهزة نموذجية تجعل معدتك ع المحارة .. وبعد أن تمر من كل هذا يا بطل .. انزل الشارع .. السيارات تمضى والمواطنون أيضًا ، كلاهما يكسر الإشارة ..

المواطن والسيارة .. وكل حسب قدرته على تفادى الآخر .. ولقد اكتسب المصرى مقدرة عالمية فى المرور بين السيارات برشاقة كراقص باليه محترف .. وعبرنا يا سيدى .. رايح على فين يا بطل .. تقول إنك ذاهب إلى المرج .. وماله نركب القطار ... سيحترق القطار بالتأكيد أو سيرتطم بقطار آخر .. ولكن ماذا يخيف فى ذلك ، لقد مررنا من مواقف أصعب من هذا بكثير .. ألا تذكر يوم انفجرت أنابيب الغاز عندكم .. ماذا حدث .. ربنا ستر والحمد لله .. وكانت الإصابة فى كتفك ونقلوك إلى المستشفى .. وظللت تنزف من الساعة الحادية عشرة مساء حتى أتى الطبيب تانى يوم ليقول إنك تحتاج نقل دم .. وماله .. لقد مررنا من مواقف أصعب من هذا بكثير .. ونقلوا لك الدم وكانت الأكياس ملوثة .. وإيه يعنى .. هية جات ع الأكياس .. يا عم قول يا باسط .

إن الصحافة تبالغ كثيرًا وتهول فى الأمور .. وهل لو كانت الأمور بهذه الخطورة التى يصورونها .. كنا اقتربنا الآن من ثمانين مليون نسمة؟! تلك هى عظمة شعبنا .. والآن كل الجرائد والكافيهات والسهرات العائلية مشغولة بحديث روتانا وفتيات الليل.. وسمعة مصر ، برغم أن مصر الآن صارت فى سن تبعدها عن الشبهات .. واحدة عندها سبعة آلاف سنة مش كبيرة يعنى ، وكلنا يعلم أن مصر لو فى وسط ميت راجل لو محافظة على نفسها خلاص .

كل هذا يحدث والتعديلات الدستورية الجديدة ستناقش فى مجلس الشعب .. والمصريون ولا هما هنا .. تعديلات إيه ودستور إيه خليها على الله .. لقد مررنا من مواقف أصعب من هذا بكثير .. ده بيقولك البت من دول بتكسب عشرة آلاف وربعمائة جنيه فى الشهر .. قلت له إزاى .. قال لى عشرتلاف جنيه من شغلها .. وربعمية لما بتتكلم عن شغلها .

ما أجهلنا

استوقفنى فجأة فى الطريق وباغتنى بسؤال .. معاك فلوس؟! مالك!! لماذا تنزعج هكذا من السؤال؟! أنا لن آخذ فلوسك .. أنا عاوز أشوفهم بس وح ارجعهم لك .. أنا أعلم أن عملية إخراج الفلوس من المحفظة عملية صعبة .. شكلك كده بتحب الفلوس قد عنيك .. كلنا نحبها يا سيدى وكلنا لا يريد أن يفرط فيها .. ومع ذلك إذا كنت فعلاً تحبها كما تقول هل تستطيع أن تصفها لى .. علام تندهش .. صف لى المرسوم على ظهر الجنيه وأنا أعطيك مثله مائة مرة... نظرت نحوه وبلعت ريقى... وأخذت أحاول أن أجهد ذهنى فى التذكر.. معقولة!! لا تعرف شكل الجنية الذى تدَّعى أنك تحبه كل هذا الحب، ألم تحاول أن تتأمله لحظة!! ألم تر الملك رمسيس الثانى وزوجته نفرتارى مرسومين على ظهر الجنيه!! الملك رمسيس الثانى الذى حارب الحيثيين وانتصر عليهم ثم عقد معاهدة سلام معهم

وعاش سعيدًا وأنجب مائة وأحد عشر ولدًا.. رمسيس الثانى صاحب التماثيل الضخمة والمعابد الأسطورية.. ملك مصر فى الأسرة العشرين من الدولة الحديثة.. هكذا تعطى الجنية للسايس وهو يركن لك العربية ولا انت ولا هو تعرفان من ذلك المرسوم على ظهر الجنيه!! ضاعت عليك الجائزة.. كنت ستأخذ مائة جنيه لو عرفت الحل.. إنما سأعطيك فرصة أخرى.. هل شاهدت الملك المرسوم على ظهر الورقة بخمسة جنيه. لو عرفت ستأخذ خمسمائة.. لا.. لا تقل إنك لا تعرفه..تحتمس الثالث.. أكبر محارب بين ملوك الفراعنة.. حكم مصر وحده 54 سنة كانت عمته حتشبسوت قد أصبحت ملكة للبلاد بعد وفاة أبيه واخترعت حكاية كده.. إن الإله رع يعنى كان متجوز أمها وأنجبها وهى أحق بالحكم لأنها بنت الإله رع.. وحكمت البلاد كامرأة ولكنها كانت تضع الدقن المستعارة لكى تقنع المصريين أنها (ست أّه) إنما راجل.. وقضى عليها تحتمس الثالث الذى بلغت مصر فى عهده ذروة مجدها، وصارت امبراطورية ضخمة تمتد من الفرات شمالاً إلى نبتا فى الصومال جنوبًا، وكان الملك تحتمس يخرج من مصر فى الصيف ويعود إليها فى الشتاء.

وكانت الغنائم التى يحصل عليها تفوق الخيال.. كل هذا مرسوم على الخمسة جنيه التى أعطيتموها لبائع الآيس كريم فأخذها وأخذتم الآيس كريم والشيكولاتة ساحت راحت مطرح ما راحت، ولم ينظر أيكما إلى الملك تحتمس الثالث على ظهر الورقة!

ما أجلهلنا ياأخى فعلاً.. وبدأت أشعر بالخجل وبدأ العرق يتصبب على جبهتى.. ولكن أخينا لا يزال ينهال علىَّ بالأسئلة.

عمومًا سأعطيك آخر فرصة.. قل لى. ما المرسوم على ظهر الورقة أم عشرة جنيه؟ هذا أيضاً لا تعرفه لا.. سورى.. دى تبأه كارثة بكل المقاييس.. خفرع ياعم؟! هكذا أضعت ألف جنيه.. عمومًا اسمع.. معك ورقة بمائة جنيه.. وريهانى.. أعطيته الورقة أم مائة جنيه فقلبها وأشار نحو الملك المرسوم على ظهرها وقال.. أترى من هذا؟ إنه أبو الهول.. هل تعلم كيف بناه أجدادك الفراعنة.. كان مكانه (محجر) يقطع منه العمال الأحجار اللازمة لبناء الهرم الثانى.. وبعد أن أخذوا أحسن وأطيب الأحجار بقيت كتلة كبيرة من الحجر من نوع غير جيِّد، فرأوا أن منظرها يفسد شكل الهرم الثانى فقرروا أن ينحتوها هكذا فى مكانها على صورة أسد ورأس إنسان هو خفرع نفسه تأمله ياعزيزى.. أنه ينظر نحو الشرق عظيم فى هيئته مرتديًا الرداء الملكى.

لا ياجماعة.. نحن فى غيبوبة.. إن تاريخنا مرسوم على أوراقنا المالية ولكننا للأسف لا نلتفت إليه.. معك ورقة من الجديدة؟! أم ميتين جنيه؟! آه.. ورينى كده شايف مين المرسوم ده.. ده ياسيدى تمثال الكاتب المصرى الجالس القرفصاء أخيرًا تذكروه وعرفوا قيمته ووضعوه على الفلوس.. إنما بعد إيه.. هوه الكاتب النهاردة يساوى ثلاثة تعريفه علشان يحطوه على ورقة بميتين جنيه؟! وفجأة نظر فى

ساعته وصرخ يانهار أسود يبدو أنه تذكر موعدًا مهما وركض مسرعًا وتركنى وأنا أتأمل حديثه الممتع.. فعلاً.. ما أجهلنا.. هكذا أنا كالحمار يحمل أسفارًا أعزائى.. أنصحكم أن تتأملوا النقود جيِّدا.. فأمثال أخينا هذا منتشرون هذه الأيام يستوقفونك فجأة ويسألونك تلك الأسئلة المفاجئة.. المشكلة الآن أنه أخذ الثلاثمائة جنيه بتوعى ابن النصابة.. أخذ أبو الهول والكاتب المصرى وترك لى ورقة بجنيه فئة رمسيس الثانى ونفرتارى يادوب ثمن أربعة أرغفة آخذهم للعيال فى البيت الرغيف ثمنه ربع جنيه.. هل شاهدتم الملك المرسوم على ظهر الربع جنيه لو عرفتم الحل.. سأعطيكم الأربعة أرغفة!!

صوتوا لخوفو

خلاص.. بعد قرار اللجنة السويسرية صارت الأهرامات المصرية لا تعد من عجائب الدنيا السبع.. صار هرم خوفو الأكبر مثله مثل أى مبنى عادى خالص.. كأنه مثلاً مبنى تحسين الصحة أو كشك حاجة ساقعة أو عربية بليلة.. ورغم أن الأهرامات هى العجيبة الوحيدة التى لم تندثر من عجائب الدنيا السبع، فإنها اندثرت فجأة بجرة قلم من واحد سويسرى اسمه برنارد ويبر.. قال إيه!! لأن الوزير فاروق حسنى والفرعون زاهى حواس تعاملوا معه بألاطه شويه ومعملوش الواجب معاه يقوم يحط غله فى مين؟! فى الملك خوفو!! وأصل الملك خوفو ده طول عمره مالوش حظ مع الخواجات.. غايظهم ومحيرهم بشكل عجيب.. من أيام هيرودوت الذى قال عنه.. إنه كان ديكتاتورًا وأغلق المعابد واستعبد شعبه لكى يبنى قبره الضخم.. وقال إيه!! الملك خوفو أجبر ابنته على مزاولة البغاء علشان تسدد نفقات الهرم..

وده كلام برضه؟! ملك يبنى هرم قد ده ويخلى بنته تمشى مشى بطال عشان تصرف عليه؟!

الأعجب من ذلك.. أن بعض الصحف المصرية بدأت تشن هجومًا على الوزير وعلى الدكتور زاهى لأنهما لم يعملا الواجب مع الأخ السويسرى اللى عامل المسابقة.. وهذا يؤكد أننا مازلنا نفتقر كثيرًا إلى الثقة بالنفس، وأننا مازلنا ننظر إلى الخواجة وكأن حياتنا متوقفة على رأيه فينا.

الأغرب أن اللجنة السويسرية ستحدد عجائب الدنيا السبع عن طريق التصويت التليفونى.. وكأن الملك خوفو نازل ستار أكاديمى.. وربنا يوفقه ويرفع رأس مصر زى محمد عطية.. أتخيل أسرة مصرية جالسة.. والأم تصرخ فى أولادها.. صوتوا لخوفو ياولاد.. وستنزل شركات المحمول بعروض مخفضة علشان مصر كلها تصوت!! تصوت لخوفو طبعًا.. ويقول بعض النقاد إن خروج الهرم من عجائب الدنيا السبع سيؤثر على السياحة.. وسيقلل من قيمة الهرم تصوروا!! عمومًا نحن لا يهمنا.. فى بلادنا حلول لكل شىء.. حينما انهار عمر أفندى هل عجزنا عن الحل؟! عرضناه للبيع ووجدنا ألف مشترٍ واحنا حاطين رجل على رجل.

إذن.. لنعرض الهرم للبيع!! ولكن بشروطنا وأهمها الاحتفاظ باسم الملك خوفو كصاحب الهرم الأصلى وصاحب العلامة

التجارية.. الاحتفاظ بالتابوت الموجود فى الهرم وأسماء الكهنة واحدًا واحدًا.. منع شاكيرا من الغناء أمام الهرم مرة ثانية لأنها كانت السبب المباشر فى خروجه من عجائب الدنيا السبع، حيث إن الناس حينما رأوا شاكيرا وهى ترقص نظروا نحوها مذهولين منصتين وتجاهلوا الهرم تمامًا، وكأنه لم يكن موجودًا من أساسه، وليس معنى خروجنا من مسابقة عجائب الدنيا السبع التى لن أشارك فى المسابقة أبدًا، بالعكس وأنا أرشح من بين كل العجائب التى طرحت فى المسابقة (اللجنة السويسرية) نفسها لتكون عجيبة العجائب فى الدنيا كلها.

وأخيرًا أحب أن أهمس فى أذنك ياعزيزى المواطن.. ولا يهمك عجيبة راحت!! الحمد لله العجائب كتير فى مصر بس النفس اللى تشوف.. تحب أقولك سبع عجايب خبط لزق ورا بعض كده.. خد عندك ياسيدى.. موظف مرتبه 154 جنيهًا ومتجوز وفاتح بيت ومع ذلك عايش وميت فل.. إزاى؟! آدى عجيبة.. القاهرة فيها 15 مليون نسمة 8 ملايين منهم عايشين فى العشوائيات ولا حد اشتكى ولا حد زعل وما بيبطلوش خلفه.. بأه دى مش عجيبة!! وخد عندك ياسيدى بلدك فيها 10 ملايين قهوة وكوفى شوب بمعدل قهوة لكل سبع أنفار والناس كلها قاعده زى الفل ومفيش أى حاجة.. وخد كمان ياسيدى من يوم ما اكتشفنا الغاز الطبيعى فى مصر والأنابيب بتفرقع فى وشنا.. تسمع كمان.. وتسمع ليه ماانت شايف بعينك كل

حاجة.. هو انت غريب.. شايف المرور فى البلد عامل إزاى هو ده مش من العجايب.. إيه رأيك فى التعليم ياعم الحاج مش ده عجيبة برضه!! مش عاوز اتكلم ع الميه اللى بتنقطع بالأسبوع والناس بيروحوا يستحموا عند قرايبهم ويرجعوا!!

أعزائى.. أتخيل أجدادنا المصريين القدماء وهم يبتهلون للإله رع ويقدمون له القرابين حتى يهدأ برنارد ويبر ويرضى عن الهرم الأكبر.. وإنى لأذكر خطابًا كتبه الملك بيبى الثانى فى الأسرة السادسة للرحالة (حرخوف) حينما أحضر معه قزمًا عند عودته من رحلته ويقول له الملك فى الخطاب.. (اسرع بالمجئ فورًا بالسفينة إلى البيت وأحضر القزم الذى جئت به معك حيًّا سعيدًا وبصحة جيدة ليقوم برقصات الإله ويمتع سيدك الملك ويسرى عنه) ونحن نتمنى لبرنارد ويبر حياة سعيدة وصحة جيِّدة ليمتعنا ويسرى عنا هو الآخر.. بأه عاوزنا نصوت لخوفو ياويبر.. وهى مصرح تصوت على إيه ولا إيه؟!!!

إجاباتى النموذجية

لا أعرف حتى الآن سر تفوقى ونبوغى فى هذه المادة بالذات، خصوصًا فى مرحلتى الابتدائية والإعدادية.. والمادة كان اسمها (المواد الاجتماعية) وهى تجمع بين التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية، وكنت دائمًا ما أحصل فيها على الدرجات النهائية، حيث كانت إجاباتى غالبًا من تلك النوعية التى يطلق عليها (إجابات نموذجية)، عندك مثلاً القمح المصرى.. ما إن أجده فى ورقة الأسئلة حتى أدش الإجابة النموذجية فورًا.. وهى أن القمح المصرى من أجود أنواع القمح فى العالم، وأن روما فى عز مجدها كانت تعتمد عليه فى غذاء شعبها.. تخيل سيادتك لو كتبت هذه الإجابة الآن سأحصل على صفر علطول.. فكلنا سمعنا عن القمح المسرطن.. وقد رد أحد المسئولين مدافعًا عن ذلك قائلاً: بطلوا بأه شائعات وافتراءات.. لا ياسيدى القمح مش مسرطن ماتخوفوش الناس.. الحكاية كلها إن القمح بيجيب شوية تسمم عادى خالص وعشان المواطن يموت لا سمح الله عاوزله أربع خمس سنين.

وكان دائمًا ما يتكرر سؤال فى الامتحانات بخصوص القطن المصرى.. وما إن ألمح كلمة القطن فى ورقة الأسئلة حتى ألسع الإجابة فورًا وهى أن القطن المصرى يعتبر من أجود أنواع القطن فى العالم وهو يتميز بأنه طويل التيلة.. المشكلة أننى حتى كتابة هذه السطور لاأعرف معنى طويل التيلة، بالتأكيد حاجة كويسة وأنها بالتأكيد أفضل بكثير من قصير التيلة.... وكتبنا ذلك ياسيدى فى ورقة الإجابة وانتقلنا إلى الصف الأول الإعدادى.

الحمد لله أنهم لا يراجعون أوراق الإجابة بأثر رجعى.. وإلاَّ وجدت نفسى الآن فى ثالثة ابتدائى... أما إذا كان السؤال عن الثروة السمكية.. أعتقد أن جيلى يذكر الإجابة جيِّدا.. وهى أن بلدنا تجتمع فيه جميع أنواع الكائنات البحرية.. بحيرات وأنهار ومحيطات تحيط ببلادنا وتقطعها.. ومع ذلك أصبحنا يا أخى نستورد الأسماك المجمدة من الخارج!! لقد اكتشفت بعد أكثر من ثلاثين سنة أن كل إجاباتى فى المواد الاجتماعية والتى حصلت فيها على النهائية كانت كلها أخطاء فادحة، عندك مثلاً الأهرامات المصرية عجيبة العجائب فى الدنيا لم تعد كذلك تصوروا!!.

كم مرة كتبت ذلك فى ورقة الإجابة وحصلت على الدرجة؟! ثم إذا تكلمنا عن المياه نكتب فى ورقة الإجابة أن مصر هبة النيل وأن ماء النيل العذب لا يوجد أحلى ولا أوفر منه فى الدنيا كلها.. لو كتبنا ذلك

الآن لصارت نكتة.. ولا نريد أن نتكلم عن تلوث مياه النيل فهذه مسألة أجبت عنها فى ثانية إعدادى، وقلت إن مياه النيل هى أصفى مياه فى العالم وأخذنا الدرجة برضه وانتقلنا للصف الثالث.. وبالنسبة لسؤال أطول أنهار العالم كنا نجيب عنه بسهولة فنهر النيل هو أطول نهر فى العالم.. كنا نكتب ذلك بكل إيمان وثقة.. أطول.. أكبر.. أضخم.. وهاهم يعلنون الآن أن نهر الأمازون طلع أطول من نهر النيل.

لقد نقلنى هذا السؤال إلى الصف الأول الثانوى بجدارة.. أما فيما يختص بالمناخ.. فالإجابة محفوظة.. حار جاف صيفًا معتدل ممطر شتاءً وها قد صار المناخ فى بلدنا زائير تنزانيا صيفًا، الإسكيمو سيبيريا شتاءً..

أما فى مادة التربية الوطنية فكنت الأول بلا منازع.. كنت أكتب بطلاقة عن الوحدة العربية والتاريخ المشترك واللغة المشتركة والحاجات دى.. ولكن ماذا حدث؟! هل كل ما كتبت فى أوراق الإجابة كان غلط؟ وكيف نجحت إذًا وتخرجت فى الجامعة؟ وما أغرب هذا! كل شئ تغير من حولى.. رغم أن نظرية فيثاغورث لسة شغالة ما اتغيرتش وقانون أرشميدس ونيوتن وحتى النسبية لأينشتين لم تتغير ولقد سألت أحد الأصدقاء هامسًا بقولك إيه يابوحميد بالنسبة لإخوات كان لسه بيرفعوا المبتدأ وينصبوا الخبر ولا النظام بأه إيه

دلوقت؟! أجاب أبو حميد.. واللهى أنا أديلى فترة ماسمعتش عنهم حاجة ياجووقد دخلت على ابنتيى الصغيرة وفي يدها كتاب المواد الاجتماعية وسألتنى ببراءة: بابى.. أين يقع ميدان رمسيس؟! وقفت حائرًا ثم قلت لها.. شوفى ياحبيبتى ميدان رمسيس يقع في ميدان الرماية.. دى معلوماتى.. ولقد رأيت فيما يرى النائم.. أنهم يراجعون أوراق إجاباتى من أولى ابتدائى لغاية ما خلصت الجامعة، وكان قرارهم أننى لايجب أن أعيد السنة.. وإنما يجب أن أعيد ثلاثين سنة.

مصر التانية

بالنسبة لمصر الأولى مفيش مشكلة، المشكلة الحقيقية تكمن فى مصر التانية، تندهش سيادتك الآن وأنت تقرأ هـذا الكـلام.. ومعـك كـل الحق فى الاندهاش... فأنت وأنا نعلم جيِّـدا أن مـصر حاجـة واحـدة جات منين مصر التانية دى؟! أقولك أنا مصر الأولى التى نعرفها هـى بلد تمسك بزمامه حكومة قوية ويعيش شـعبها مـستقرًا مطمئنًـا تحـت سيادة القانون، ولكن لظروف ما غير طبيعية أنجبت مصر الأولى مصر تانية مشوهة مريضة، فرضت نفسها على حياه المصريين بحكـم الأمـر الواقع.. كيف حدث هذا؟! لأضرب لك مثلاً.. هيئة النقل العام هى هيئة حكومية أنشأتها الدولة لنقل المواطن المصرى مـن مكـان لآخـر، من بيته إلى عمله.. من عمله إلى المقهى.. وهكذا.. ولما لم تستطع الهيئـة أن تفى باحتياجات الشعب الذى يزيد تعداده بمعدل 25٪ كـل عـشر سنوات.. ظهرت دولة بديلة هى دولـة الميكروبـاس، وكـان يجـب أن تتعـايش مـصر الأولى مـع مـصر الثانيـة رغـم تجـاوزات قائـدى

الميكروباسات وتعاملهم السئ مع الركاب، ومعظمهم مسجلو خطر ومع ذلك فلا تستطيع الحكومة أن تلغى الميكروباسات والأَّصارت البلد فى أزمة حقيقية.

ولمـَّا زادت المشكلة ولم تعد الميكروباسات نفسها تستطيع أن تستوعب الركاب.. ظهرت دولة أخرى هى دولة التوكوك، تراه بلا نمر يقطع الطريق ويقوده أطفال.. وكأننا فى الصين الشعبية أو فى أفقر بلاد الهند.. ولنضرب مثلاً آخر.. حيث يتقاضى الموظف فى مصر الأولى مئتى جنيه المفروض أن تكفى نفقات أسرته وأولاده، وهذا عملياً مستحيل.. فيضطر سيادته أن يفتح لك الدرج ويقول لك فتح مخك حتى يستطيع أن يعمل ثلاثين أربعين جنيه فى اليوم، تعينه على صعوبات الحياة، والحكومة تعلم ذلك طبعًا ولكنها لا تستطيع أن تحاكمه، وهكذا نشأت مصر التانية من المرتشين والفاسدين، وانظر معى إلى العمائر الشاهقة على النيل والفيلات الراقية فى الزمالك والمهندسين، حقًّا إن لمصر أن تتباهى بهذا الشكل الحضارى، ولكن مصر الثانية تحيط بكل هذا فى شكل عشوائيات مهولة مليئة بالفقر والجريمة والمخدرات!!

ومع ارتفاع تكاليف العلاج والمصاريف الباهظة للمستشفيات الخاصة، إذا أضفنا لذلك.. الإهمال والتردى الذى أصاب المستشفيات الحكومية... ظهر الطب البديل متمثلاً فى بزوغ نجم العديد من

الأسماء للمشعوذين والدجالين الذين يبيعون الوهم للمرضى، وظهرت مصانع الأدوية تحت السلم التى تبيع عقاقير مغشوشة غالباً.

ومع ارتفاع تكاليف الدراسة للأطفال الذين يتعلمون فى المدارس الأجنبية بالدولار والاسترلينى واليورو.. ظهر شعب جديد من أطفال الشوارع يتقلبون بين صفائح القمامة، ويمارسون كل الموبقات فى مجتمع لم يلتفت لهم، ولم يحاول بشكل جاد وحاسم أن يجد حلاً لهذه الظاهرة، وهكذا أخذت الدولة البديلة (مصر التانية) فى النمو والتوسع رغم أنف مصر الأولى.

فى مصر الأولى مثلاً الشباب يتزوجون... بينما فى مصر التانية لايستطيعون الزواج فيلجأون إلى الاغتصاب أو إلى الزواج العرفى، أو إلى تصوير الفتيات أو الاعتداء عليهن فى الشوارع، مثلما فعل سفاح المعادى. ومصر التانية بحكم الواقع لا تحب مصر الأولى وتحقد عليها وتعتقد أنها السبب فى كل ما تعانيه. ومصر الأولى هى الأخرى لاتحب مصر التانية.. وتخشاها وتشعر أنها تهدد أمنها واستقرارها، ففى مصر التانية ينشأ الإرهابيون.. ويظهر التوربينى ويطلع الجواسيس الجدد الذين نسمع عنهم كل يوم، ولذا فأنا أرى أن المشكلة تكمن فى أن مصر الأولى ضاربة طناش ولا تعمل حسابًا لذلك اليوم المهول الذى ستطلع فيه جحافل من مصر التانية، فى حالة من الغضب الهيستيرى والذى سيصعب جدًا وقتها إيقافه أو التصدى له.. عذراً لم أستطع أن

أكون ساخرًا هذه المرة فالموقف خطير جدًّا، ثم إن دولة السخرية هـى الدولة البديلة لدولة النقد الحقيقى والمكاشـفة وإبـراز العيـوب... ولم أشأ أن أكلمكم من مصر التانيـة فـلا يـسمعنى أحـد. الأمـل الوحيـد الباقي ياأعزائى.. فى مصر التالتة!! من حقك أن تندهش مرة ثانية أيها القارئ.. ولكن لنحلم بها معًـا.. ربـما إذا لم نلحقهـا أنـا وأنـت تراهـا الأجيال القادمة.

بصل بالصدفة

حتة جبنة قديمة ورغيف عيش وتدش جنبها بصلاية.. ياعينى... شوية فسيخ حلوين.. وتدش جنبهم بصلاية.. ياخرابى.. عبقريتنا كمصريين عشنا سبعة آلاف سنة تتمثل فى أن حكامنا أو من استعمرونا دائماً كانوا يسندون إلينا مهامًا صعبة.. بل مستحيلة، ومع ذلك فنحن كنا – دائمًا – قدها وقدود.. وحينما أمرنا الفرعون بأن نبنى له الأهرامات والمعابد الشامخة والمسلات.. شمرنا عن سواعدنا وأكلنا فحل البصل المتين وشيل يادياب وامسك قدامى ياعبدالهادى.

أكثر من مليونى حجر يزيد وزن الحجر على عدة أطنان... حملناها فوق ظهورنا بكل شموخ واكلين بصل بأه!! وشيدنا الأهرامات.. وحينما أمرنا قراقوش الله يرحمه بأه – بأن نبنى القلعة.. ماذا فعلنا.. دشينا البصل وطلعنا طلعة رجل واحد.. لا تقولولى بأه البصل بينيم وبيكسل الواحد.. آدى القلعة قدامكوا أهه خير شاهد على قوة البصل.. ونروح بعيد له... حينما أمرنا دليسبس أن نحفر القناة.. هل

تخاذلنا؟ أبدًا ضربنا بيد من حديد على رأس البصلاية.. فطلع لنا قلبها... أبيض اخترقت رائحته النفاذة أنوفنا – فانتفضنا انتفاضة عظيمة.. وحفرناها.. ولذا فأنا أومن جدًّا بالبصل ودوره فى تاريخنا وحضارتنا.

صحيح أننا شعب يمتلك العزيمة والإرادة والحاجات دى، إنما لايمكن أن ننكر فضل البصل.. إن البيت الذى لا تنبعث منه رائحة التقلية والطشة بيت خامل صدقونى.. وأنا أمامكم أهو.. واكل بصل.. ولذا فأنا حريص على أن التقى بكم كل أسبوع هنا فى الجريدة، وقدرتى التى تدهشكم أحيانًا على الاستمرار فى الكتابة لا ترجع إلى شطارة منى.. إطلاقاً.. إنه البصل. هذا هو السر الذى قررت أن أطلعكم عليه اليوم.

ولكن ياأعزائى.. اسمحوا لى أن أدق ناقوس الخطر وأحذركم.. نحن مقبلون على أيام صعبة للغاية.. عشان لما يوصل كيلو البصل ستة جنيه طبعًا – هتولع.. كان المواطن المصرى العبقرى يستطيع أن يكيف حياته طول الشهر بجنيهات قليلة، كان يتحمل الفساد وحرقة الدم والإحباطات اليومية فى تلك اللحظة المتوهجة، حينما ينهال بقبضة يده على البصلاية ويدشها ثم يزدردها ويقرقشها بكل استمتاع وجنبها أى حاجة، ثم يقول لأولاده كأنه دكتور من اللى بيطلعوا فى (البيت بيتك) البصل ياولاد.. مفيد للسكر.. للضغط.. للقلب حتى البرد مايطيبوش غير البصل.

وزاد ارتباطنا بالبصل.. صار هو الحل تقريبًا لكل مشاكلنا.. فهذا يهمس لعريس جديد قلقان شوية.. عليك وعلى البصل خدها منِّى كلمة.. وهذا مطرب خايف على أحباله الصوتية.. يقول له مدير أعماله عليك وعلى البصل يانجم.

والآن ماذا سيفعل شعبنا؟! تريدون أن تدخلوا النادى النووى.. سهلة.. ليست مشكلة إطلاقًا.. ولكن كيف بدون البصل؟!

تريدوننا أن نخترع صاروخًا يصل بنا إلى القمر حاضر.. بكرة تيجوا تستلموه ولكن لا تحرمونا من البصل... لا تستهينوا أرجوكم بكلامى.. ولا تبتسموا وتقولوا ده شارب حاجة.. أبدًا.. أنا واكل بصل وعارف بقول إيه كويس وإنى أحذركم.. ستطلع مظاهرات فى البلد تنادى بعودة البصل.. وأنا رغم ابتعادى عن السياسة سأكون على رأس المتظاهرين.. وسأهتف بكل حماس.. يانظيف بيه.. يانظيف بيه.. فحل البصل بستة جنيه.. والأخ سعد الصغير سيكون معنا فى المظاهرة ولن يغنى العنب العنب وإنما سيغنى البصل.. البصل.. والأخت دينا.. ستخرج عادى فى المظاهرة فلن يتحرش أحد، ويتحرشوا ليه؟ محدش فيهم واكل بصل.

ورينى كده

تتسابق شركات المحمول الآن فى إضافة خاصية التليفون المرئى، الذى سيحدث نقلة نوعية وحضارية واجتماعية فى طبيعة العلاقات بين الناس، وخذوا حذركم إذا لم ننتبه لما سيحدث وأخذنا الأمر باستهانة، مصر كلها ح تتطلق، واسمحوا لى أن أعود بكم فلاش باك صغير كده لأيام لم يكن فيها لا محمول ولا حتى بيجر، حيث كان الزوج منا يقضى سهرته اللطيفة ويعود للبيت عند الفجر لتستقبله المدام بذلك السؤال التاريخى: كنت فين؟! وتفنن الأزواج أيامها فى الإجابة عن هذا السؤال بإجابات نموذجية، كانت تغلق الموضوع فى حينها، من نوعية: كنت فى المستشفى بازور واحد صاحبى، أو العجلة فرقعت منى فى الطريق، وحاجات زى كده.

وكانت تلك الحقبة (حقبة كنت فين) من أسعد وأمتع الحقب التى مرت على الأزواج، وكانت تلك الأكاذيب البيضاء هى التى تجعل الحياه الزوجية تمر بسلاسة ودون أى منغصات إلى أن ظهر المحمول،

ولم يعد سؤال زوجتنا (كنت فين) يتلاءم مع الحقبة الجديدة وثورة الاتصالات، وصار السؤال الجديد: إنت فين؟! يالصعوبة هذا السؤال، إنه يحتاج إلى سرعة بديهة خارقة لكى ترد عليه، قال لها هامسًا: أنا فى عزا ح أكملك أول ما أخرج، قالت له متشككة: بس أنا مش سامعة صوت قرآن، قال لها هامسًا: المقرئ لسه مخلص ربع وبيريح، باى باى بأه.. وقبل أن يقفل إذا بكركعة لضحكة أنثوية مجلجلة تنطلق من السيدة التى كانت بجواره، ما هو فيه ستات كده بتضحك فى أوقات غريبة وصرخت الزوجة: مين اللى جنبك دى؟ انطق؟ وهكذا صارت الزوجات خبيرات حقًّا فى الأصوات والمؤثرات، تستطيع الزوجة بأذن مرهفة أن تعرف طبيعة المكان الذى أنت فيه، وتمرس الأزواح أيضًا على ذلك، وصاروا أكثر حذرًا، فإذا كان البيه راشق فى شقة وجاله التليفون إياه يجرى على البلكونة حيث ضجيج السيارات ويفتح الموبايل، تسأله زوجته السؤال التاريخى: إنت فين؟ فيرد بكل ثقة: أنا فى الشارع بس الدنيا زحمة موت، الإشارة واقفة خالص، تسأله: امال ما رديتش علطول ليه؟ يقول: عشان بس ما آحدش مخالفة، وعادت الحياة الزوجية تمر بسلاسة ودون أى منغصات، ولم يعد سؤال (إنت فين)؟ يمثل مشكلة لأى زوج الآن.

ولكن ماذا سيحدث بعد أن يصبح المحمول (صوت وصورة) وينتهى عصر (إنت فين)؟ لندخل إلى العصر الجديد؟ عصر (ورينى كده)؟ ماذا ستفعل إذا قالت لك زوجتك ورينى كده انت قاعد فين؟

ومع مين؟! ستحرك الكاميرا مرغمًا لتستعرض لها الجالسين معك فى المقهى: آدى ثابت.. فيبتسم ثابت، إزيك يامدام، وآدى معتز، وآدى هشام، استريحتى ياستى؟! تقولك لك: ومين الست اللى قاعدة هناك دى؟ تقسم لها أنك لا تعرفها وأنها مجرد زبونة قاعدة لوحدها مش كده ياجماعة!! ويشهد الأصدقاء لصالحك طبعًا، ثم يأتى تليفون آخر من مدام هشام، ورينى انت قاعد مع مين؟! ويبدأ هشام فى تصويرنا هو الآخر، ليثبت براءته لزوجته، آدى يوسف وآدى ثابت، وهكذا سنظل نصور بعضنا بعضًا طول القعدة.

وعمومًا سيجد الأزواج حلاً برضه لسؤال العصر الجديد، ورينى كده؟ مدام مفتاح الكاميرا فى إيدك لو أنت فى الأمان دوس ON ولو فيه أى لبش احنا ع الـ OFF وربنا يجعلنا ع الـ OFF علطول ياسيدى، سنتحجج كثيرًا طبعًا بالإرسال والسجنال، وبالأعطال الفنية، والمشكلة الوحيدة إذا كنت مثلاً قاعد قعدة حلوة كده فى أى مكان والكاميرا ع الـ OFF وقام أحدهم (ندل طبعاً) بالاتصال بالمدام وقام بتصويرك ونقلك لها على الهواء مباشرة، أو إذا قامت إحداهن (ندلة طبعًا) بالاتصال بك والمدام قاعدة جنبك وشافتها ع الموبايل، خلاص لم تعد هناك أى خصوصية، كلنا كنا نتحمل زعيق زوجاتنا فى التليفونات ونبتسم أمام الجميع متظاهرين بأن المكالمة ودية تمامًا، لكن أن يكون التهزيىء كده عينى عينك بالصوت والصورة!! أعزائى... الجوازة اللى ح تكمل ثلاثة شهور بعد كده يبقى الراجل ده والست دى ملايكة مش بنى آدمين.

الطريق إلى البنك

كان لسابع مرة يصف لى عنوان البنك بدقة شديدة وبتفاصيل دقيقة للغاية، ولم أكن قد ارتكبت جرمًا حتى يفعل بى كل هـذا سـوى أننـى ألقيت سؤالاً عابرًا على الجالسين.. ولم أخصه هو بالسؤال.. هو البنك الفلانى له فرع بالمهندسين؟!

وبعيد عن السامعين اتفتح صديقى فى وصف عنوان البنك.. بادئًـا إجابته بسؤال.. فين جامع مصطفى محمود؟! أكيد عارفه طبعًا.. هـوه أصل له أربع نـواصى.. ناصـية عـلى شـارع جامعـة الـدول العربيـة، وناصية من ناحية المدرسة، والناصية الثالثة بتاعـة الـصيدلية بـأه فيـه كوفى شوب.. باقعد فيه علطول.. عارف مين بيقعد فيه كمان.. فهمـى سليمان.. فهمى سليمان ياجدع اللى كـان معانـا فى المدرسـة عـارف ده اتجوز مين؟! بنت بيومى عطا.. بيومى عطا ياجـدع بتـاع المقـاولات.. اللى تلاقى إعلاناته على المحور.. أيواه.. قبل منـزل المريوطيـة وأنـت رايح على كرداسة... شفت المنطقة هناك ولعت إزاى؟ كانـت بـتراب

الفلوس دلوقت المتر فيها بأه بالشيء الفلاني.. وحمدت الله على أن الحوار أوصلنا إلى كرداسة، وانتهى موضوع البنك.

ولكنه عاد وتذكَّر أننى كنت أتساءل عن عنوان البنك،، وقال البنك،، بأه ح تسيب البقال اللى على الناصية، وأول ناصية بعد البقال ح تلاقى بتاع فضة.. عارفه!! صرخت فى غيظ.. خلاص عارفه واللهى.. قال صديقى.. عنده تشكيلة حلوة قوى على فكرة ح ابأه آخذك مرة ونروح له.. أصله بيعمل لى خصم جامد قوى.. ح نروح ناخذ اللى أحنا عاوزينه ونمشى.. بص.. ومدلى إصبعه وقال الخاتم ده من عنده شايف الشغل اللى فيه.. وأخذنا صديقى فى رحلة عن عالم الفضة وأنواعها، حتى مات موضوع البنك تمامًا.

وكنت قد أقسمت فيما بينى وبين نفسى ألاَّ أسأل عن أى شىء فى وجوده مرة أخرى.. ولكنه وبمهارة شديدة بعد أن أنهى المرحلة الفضية من حديثه قال. قلت لى ياسيدى بأه عنوان البنك.. ده سهل خالص انت عديت محل الفضة وماشى... خش أول يمين وادى ضهرك للجامع وبص قدامك ح تلاقى إيه.. قلت له وأنا أتنفس الصعداء أخيرًا البنك.. قال.. لا المدرسة، أنت موش مركز معايا على فكرة.. مش قولنا فيه مدرسة على الناصية؟! انت إيه ياعم!! ماتصحى معايا!! ح تلاقى المدرسة بتاعة اللغات.. وحتى ح تلاقى العيال عاملين هيصة جوه المدرسة.. ونازلين جرى ولعب وزعيق.. جيل

آخر زمن بأه.. ده احنا ماكناش نقدر نفتح بقنا فى المدرسة.. فاكر ياجو.. لما مدرس العربى ظبطك بتتكلم مع اللى جنبك ومدك على رجليك.. يا اااه.. كانت أيام ياأخى.. كنا بنترعب من المدرسين دلوقت العيال لا هامهم مدرسين ولا أولياء أمور.. ما هو التعليم عمره ما حينصلح حاله إلاَّ لو رجعت هيبة المدرسة تانى.

وأخذنا صديقى هذه المرة فى رحلة كلامية عن التعليم وما صار إليه، وما كان عليه، هنا لم أطلق صبرًا وانفجرت فيه.. فين البنك فين البنك ياجبار يامفترى.. حرام عليك دوختنى معاك.. قال مندهشًا ما أنا بقولك.. قلت له بتقول إيه يا أخى، أنا باسألك ع البنك مالى أنا بالمدرسة... سيب المدرسة . قال مستغربًا.. ما سيبت المدرسة من الصبح.. انت اللى واقف عندها معرفش ليه أنت مالك.. بتزهق علطول كده ليه ده احنا ما صدقنا وصلنا.. بعد المدرسة بناصيتين ح تلاقيه فى وشك قلت له البنك؟! قال لأ.. الفكهانى صرخت فيه وأنا أكاد أجن.. وأنا مالى بالفكهانى؟! مالى بالفكهانى.. قال راجل بقاله تلاتين سنة فى المنطقة وعارف كل شبر فيها.. تروح تسأله على البنك ح يقولك أهوه.

أمسكته من زوره وسألته فى غيظ مكتوم، بقى انت مش عارف عنوان البنك؟ قال وهو يخلص نفسه بصعوبة من قبضة يدى.. ياسيدى عارفه.. بس أنا بحاول اختصر المشوار.. وبعدين أصل هناك

مفيش ركنه أنا عاوزك تركن عند الفكهانى، وتمشى الكام متر دول لغاية البنك.. فهمت!! وذهبت فى اليوم التالى حسب خريطة صديقى. وأنا استرجع ما قاله عن فهمى سليمان وبيومى عطا وكرداسة.. والكوفى شوب والمدرسة ومحل الفضة، حتى وصلت للفكهانى وسألته البنك فين واللهى؟ أجاب الفكهانى.. بنك إيه؟! ما اتنقل ياباشا.. الفرع كله راح ميدان لبنان من عشر سنين!! هنا قررت أن أتصل بصديقى وأقول له كلمه أبيحة فى التليفون.. وإذا به هو الذى يطلبنى من نفسه.. هه.. عملت إيه.. الوصفه ما تتوهش طبعًا.. الفرع اتنقل ميدان لبنان؟! بس ... بس.. بس عارفه.. أنا أقول لك تروح إزاى.. ح تنزل الميدان.. فيه واحد بتاع حمام مشهور فى الميدان فى شارع النيل الأبيض أيواه هو ده.. أنا من كام يوم كنت باكل عنده.. بيعمل شوية حمام محشى.. حكاية، تعرف قابلت مين بياكل عنده.. سارة.. بنت منتصر مع جوزها.. ماشاء الله البنت كبرت قوى.. شوف دى كانت قد إيه.. العيال كبرونا ياجو واللهى.. والواد شريف جوزها واد ابن حلال قوى.. تصور كان عاوز يحاسب لى على الطلبات.. عامل فيها راجل قلت له ياواد ده أنا عمك عيب، المهم خليته يحاسب فى الآخر عشان ما أزعلوش....

فتحية الجنية

ظهر على الشاشة، متماسكًا... واثقًا من نفسه إلى حد كبير ليدلى باعترافه المثير وقال: نعم أنا متزوج من جنية اسمها فتحية وأنجبت منها أربعة!! يظهرون لى فى شكل قطط! (Cats4) وأنه يعاشرها يوميًّا منذ عشر سنوات، ولم يتخلف يومًا واحدًا، وهى تغير عليه غيرة جنونية، وعلق أحد الشيوخ الدائمين على الفضائيات وقال: الجنيات نوعان.. جنية تتزوج فى الحلال، وجنية مقضياها استعباط.. ورد الزوج أبو القطط قائلاً لا يامولانا.. أنا تزوجتها فعلاً.. فى وجود أبيها وأخيها.. وهى تنتمى لأسرة متوسطة من الجان المكافحين ناس ذوق.. ذوق... ذوق ثم أخذ يصف لنا النشوة الخيالية التى يشعر بها مع أم القطط، والتى لم يزهق منها ولم يملها رغم السنوات العشر، وفتحية الجنية كما فهمت من صاحب التجربة، زوجة ليس لها أى طلبات، فلا هى تحب الخروج، ولا تحب مارينا، كما أنها لا تأكل ولاتشرب، ولا ترهقه بفواتير الموبايل، طيب ياسيدى.. يا بختك.. ما

مشكلتك.. ولماذا تريد أن تتزوج على فتحية ما دمت مبسوطًا ولا هيه فراغة عين!! حد لاقى ياعم؟ يقول.. أنا أعيش بمفردى... وأريد أن أتزوج من إنسية لتساعدنى فى شغل البيت!! ما هذا!! وهل فتحية لاتنظف لك البيت وتطهو لك الطعام.. أمال فتحية بتعمل إيه.. بتجيب قطط بس؟! عمومًا ياسيدى هذه ليست مشكلة برضه.. هات فلبينية!! ومعاك فتحية.. تعيش سلطان..يتنهد فى أسى.. منين بس؟! أنا عاطل عن الشغل بقالى كذا سنة.. ويادوب بالاقى آكل!! ما هذا؟! وهل فتحية لا تسهم ماديًا فى مصروف البيت؟! بلاش.. لماذا لا تميل على أبيها أو أخيها من الجان ما آنتوا بأيتوا أهل.. وتشرح لهما ظروفك ربما وجدا لك فرصة عمل على الأقل.. يجيب أبو القطط فى تأثر واضح.. لقد فاتحتها بالفعل فى ذلك الأمر ولكنهما أكدا لى أن الحصول على فرصة عمل فى مصر مسألة مستحيلة بالنسبة للجان أيضًا، وأشفقت عليه حقًا.. ح يأكل القطط دى منين بس؟!. ح يعيش حياته كلها يجيب فى قطط ويرميها على السلالم!!

ثم تظهر على الشاشة امرأة جالسة فى الظلام، وقد أخفت ملامحها تمامًا.. فى البداية افتكرتها فتحية.. ثم اتضح أنها مشكلة أخرى فى البرنامج خاصة بالجان برضه، تقول إنها أرملة وأنها منذ رحل زوجها أغلقت موضوع الزواج مرة أخرى تمامًا، وتفرغت لتربية ابنتها الصغيرة... إلى أن أفاقت ذات ليلة مذعورة من نومها على صوت

رجل يهمس فى أذنها، فقامت ولم تجد أحدًا بجوارها.. وظل الحلم يتكرر.. وفى كل مرة يظهر لها الرجل أكثر.. حتى اعتادت ملامحه وألفته تمامًا، واعترف لها أنه من الجان وأنه يحبها ونفسه فى القطط.. فقالت له إنها لن تخطئ أبدًا حتى لو جالها الجن الأزرق نفسه، فتزوجها وهما الآن يعيشان فى أسعد حال، ولكنها تسأل.. هل ما أفعله حرام أم حلال؟!

قال الشيخ.. شوفى ياأختى... الإشهار هو أهم شرط من شروط الزواج وزواجك من هذا الجن يعد زواجًا سريًّا.. قالت ولكن يامولانا لقد أشهرنا الزواج عندهم وكل الجان يعرفون بموضوعنا.. وأبوه بارك الزواج أيضًا.. قال لها الشيخ.. اسأليه يا أختى... إذا كان له أخت هل كان يرضى لها ما أنت فيه؟ قالت.. لقد سألته يامولانا هذا السؤال وأجابنى.. وقال لى إن أخته متزوجة من إنسى أحبته.. ولم يعارض زواجها منه وحتى أخته بالأمارة اسمها فتحية! يا االاه شوفوا الدنيا صغيرة إزاى؟!

أغزائى.. هذا ما رأيته بعينى تقريبًا على إحدى الشاشات العربية، وفى التوقيت نفسه كانوا فى بلاد أخرى... يتكلمون عن تخصيب اليورانيوم والمستقبل النووى. وعلاج السرطان واكتشاف عقار جديد لعلاج مرض السكر!!.

آتاك الربيع الطلق؟ لا ماجاش

اندهشنا.. بل ضحكنا حينما قال لنا مصطفى ابن أختى إنه يود لو كان فأرًا، وحينما سألناه لماذا يامصطفى؟ كانت إجابته دليلاً على النضج والخبرة اللتين اكتسبهما فى أعوامه السبعة التى عاشها فى الدنيا، حيث إن الفأر يستطيع طبعًا أن يقفز بمهارة يحسد عليها، ويجرى على السلالم.. بل يمشى على السقف أيضًا، وحينما قلنا له.. إن القطط يادرش تأكل الفئران، نظر لنا بسخرية فلسفية عميقة وقال: من قال لكم إن القطط تأكل الفئران لقد رأيتها بعينى تجرى من أمامها.

فى اليوم التالى فاجأنا مصطفى بأنه يود لو كان نملة، واندهشنا وضحكنا برضه، كان مصطفى كل يوم يتمنى أن يصبح شيئًا أخر غير مصطفى، إن مشكلتنا أننا لا نرى من حولنا شيئًا له قيمة غير أنفسنا.. ولقد فكرت مليًّا فيما كنت أود أن أكونه لو لم أكن كاتب هذه السطور.. هل كنت مثلاً أتمنى أن أصبح (طوبة) يعلو بها جدار كما قال سمير الإسكندرانى.. ولكن من يضمن لى أن الخرسانة ليست

مغشوشة، وأننى لن أقع على جدور رقبتى ستين حته.. هل كنت أرغب مثلاً فى أن أكون عمودًا فى وسط البلد، ولكن من يضمن لى ألاَّ يتحرش بى البعض إذا نزلت دينا وسعد الصغير وادوها رقص فى الشارع.

هل كنت مثلاً سأصبح أسعد حالاً إذا كنت عربة فى قطار الصعيد أحمل بسعادة المسافرين المشتاقين إلى ذويهم، ولكن ماذا لو حدث السيناريو المعتاد واحترقنا، وماذا لو كنت فرخة مثلاً، أعوذ بالله إنهم يتعقبون الفراخ الآن مثلما يتعقبون الإرهابيين... لا... أنا أريد أن أكون شيئًا ثابتًا.. شامخًا.. وجميلاً فى الوقت نفسه.. لماذا لا أكون مثلاً شجرة، يارب أجعلنى شجرة، وقفت فى الحديقة أتأمل الأشجار بحسد.. مجتمع الأشجار مجتمع رائع حقًّا.. النخلة تتمايل بسعادة، ولاتحقد عليها الصفصافة المجاورة، ولا شجرة الجزورين العتيقة الضخمة تحاول أن تحطمها، الفيكاس يحتضن المكان بحنان.. ولايزهق حينما تميل عليه الجوافاية فى مداعبة رقيقة.

تخشبت قدماى فجأة وشعرت أننى مقبل على مرحلة جديدة فى حياتى، أصابع قدمى بدأت تطول وتنغرس فى الأرض، التقت جذورى بجذور الأشجار فى التربة، فاستقبلتها الجذور أحسن استقبال، وأمسكت بها بقوة حتى أستطيع أن أتوازن فى وقفتى، بدأ شعرى ينمو بسرعة وتحولت خصلاته إلى أفرع جميلة، هتفت فى

سعادة، شكراً يارب.. ها قد أصبحت شجرة!! كانت الريح قوية.. فأخذنا نتمايل جميعًا أنا والأشجار أصدقائى.. كأننا فرقة باليه محترفة، فى الشتاء انكمشنا جميعًا، لم نخجل من بعضنا، ولم نسخر من بعضنا، وفى الربيع أخرجنا زهورنا وثمارنا ولبسنا الى على الحبل، هتفت لى شجرة المانجو القريبة وثمارها الرائعة تتدلى منها، إيه الحلاوة دى ياجو؟! قلت لها العفو.. دى حلاوتك انت... مالت النخلة المجاورة، وهمست فى أذنى.. انت منورنا ياجو.. قلت لها وأنا أحبس دمعة من فرط انفعالى، دى منورة بيكوا الكلام ده كتير عليا يانخله واللهى.. أنا مقدرش استحمل الحب ده كله. اندهشت الصفصافة المجاورة وقالت: وهل فى الدنيا شىء غير الحب!!، فجأة دخل بستاننا مخلوقات غريبة عيونهم ممتلئة بالشر، كان معهم سيارات ضخمة، وبلدوزرات وآلات حادة وبلا أى سبب.. انهالوا علينا بفئوسهم.. بلا رحمة سقطت المانجاية.. ثم الجوافاية.. وجاء اللودر وحمل النخلة بكل قسوة.. اقتعلها من جذورها أمامنا، وبعد المذبحة علمنا أنهم سيبنون هنا.. جراجًا متعدد الطوابق!!

ابن حلال مصفّى

حينما يكون المكان، مقهى، أو جلسة ودية.. لابد أن يتكلم الجالسون، وإذا لم تكن موجودًا فلا أروع ولا أحلى من الكلام عن هذا الغائب الذى هو أنت، إن الكلام عن الغائبين شئ ممتع حقًّا.. والكلام الذى ستقرأونه حضراتكم الآن، هو ما قاله صديق لصديق آخر عنِّى، وحتى لا يصبح مقالى شخصيًّا أو نرجسيًّا.. فتأكدوا أن هذا ما يقال عن حضراتكم فى غيابكم.. وهذا أيضًا ما تقولونه حضراتكم فى غياب الأصدقاء الآخرين.

قال.. الحقيقة هو إنسان كويس.. دى لا يمكن حد يشكك فيها، يمكن يكون أنانى شويه، مش كده!! أوعى تفتكر إنى ضده ولا فيه حاجة بينى وبينه، وحياة ولادى أبدًا.. ده راجل خيره لغيره، وأفضاله على الناس كلها، أنا بس اللى بيضايقنى منه.. إنه يبان لك طيب وفى الوقت نفسه ده.. ده.. مصيبة.. يعرف من أين تؤكل الكتف مضبوط.. بس هو مش وحش.. ليه.. بص على كتاباته.. بصراحة

كتاباته ما تخرش الميه.. لما بيكتب بصراحة بيكتب كويس.. إنما ياأخى.. كل اللى بيكتبه فى الآخر مالوش أى قيمة.. تحس إنه نصب عليك، شوف بقاله بيكتب قد إيه ماكتبش حاجة عليها القيمة لحد دلوقت الغريبة بأه.. إنه بيعتقد فى نفسه إنه بيعرف يكتب.. انت قريت له.. مش كده.. مش حسيت إن كل اللى بيكتبه تفاهات!! أنا مش عاوزك تفهمنى غلط.. أنا بحبه قوى لعلمك وهو بنى آدم كويس.. كفاية شهامته.. راجل عشرة على عشرة.. بشرط واحد.. إنك ماتقربش ناحية جيبه.. هزر معاه.. واضحك ونكت للصبح.. إنما تيجى فى الفلوس تشوف بنى آدم تانى.. هو بنى آدم مش وحش على فكرة.. أنما لو استلف منك فلوس.. قول عليها يارحمن يارحيم.. مابيرجعش حاجة ولو عزمك على ساندوتش فول.. يخلى مصر كلها تعرف إنه عزمك إنما والله العظيم أنا بحبه.. وأنا بقول ده عشان بحبه.

أنا لو ليا أخ ما أحبوش زى ما بحبه.. إنما هو بس لو يبطل السواد اللى جواه ده.. مش أخذت بالك برضه من الحكاية دى.. حقودى بشكل.. أعوذ بالله.. إنما هو عنده ميزة محدش يقدر ينكرها.. إنه اللى فى قلبه على لسانه.. دى حقيقة.. صحيح هو منافق من الدرجة الأولى إنما والله العظيم أنا بحبه.. لأن البنى آدم الكويس الناس كلها بتحبه.. كفاية إنه عمره ما اتكلم على حد من ورا ضهره.. كفاية دى.. هوه طبعًا ساعات ينم على الدنيا كلها.. إنما يكفى إنه بيفكر فى مصلحة

الغير قبل مصلحته.. مفيش حد النهاردة بيعمل كده.. إنما برضه عشان نقول اللى لينا واللى علينا هو من ناحية إنه انتهازى... انتهازى.. ما يعرفش أبوه.. والله أنا ما باشتمه حاشا لله.. ده حبيبى وانت عارف.. كفاية بشاشة وشه وابتسامته بالدنيا كلها.. هو صحيح قدمه مش حلو قوى.. إنما..

كانت تلك هى اللحظة التى دخلت فيها عليهما.. فهتف بى صديقى الذى يحبنى.. وقال.. ابن حلال مصفى.. بقالنا ساعة مالناش كلام غير عنك.. ياريتنا افتكرنا مليون جنيه.. مالك قالب وشك وضارب بوز ليه..

قلت لهما.. البقية فى حياتكوا.. محمود فتحى تعيشوا انتوا..

قالا.. فى صوت واحد.. لا حول ولا قوة إلاَّ بالله..

قلت لهما.. كان جدع طيب قوى، أنا كنت بحبه.

أومآ برأسيهما وقد دخلا فى مود الحزن بسرعة فائقة.

ثم أردفت.. هو صحيح كان يموت على القرش.. إنما كان راجل محترم.. قالا.. أيوه.. أيوه.. الله يرحمه..

ثم قال أحدهما.. الله يرحمه كان صاحبى الروح بالروح.. أكثر من أخ.. هوه صحيح كان كداب شوية.. إنما هو دلوقت بين أيدين المولى عز وجل... كفاية إنه كان راجل.. راجل بمعنى الكلمة.. ثم همس لنا... بس انتوا عارفين مراته خلعته ليه!!!

تيك كير

ألا تلاحظون معى أن الكلام العاطفى والتعبيرات الرومانسية قد زادت إلى حد كبير هذه الأيام.. لقد وصلت إلى درجة الرطرطة... روحى.. حبيب قلبى.. نور عينى واحشنى ياقمر.. باموت فيك.. باعبدك.. كل هذا الكلام الجميل لم يكن فى قاموسنا اليومى قبل ذلك.. العجيب أن ذلك الإفراط المبالغ فيه فى استخدام تعبيرات الحب يأتى فى وقت انتهى فيه الحب تمامًا، ولم يعد بين الناس سوى مشاعر الكراهية والحقد والحسد، فهل نحاول تعويض ذلك (الحب) الذى فقدناه بمجرد الكلام عنه فقط.

ولقد اخرعت لنا ثورة الاتصالات وسائل جديدة فى التعبير عن الحب فى شكل مسدجات ورنات، فتحول الخطاب العاطفى إلى عبارات زائفة خالية من المشاعر الحقيقية.. وعندك مثلاً حينما بدأوا يقولون فى نهاية المكالمة التليفونية... (ياللا باى).. وكأن محدثتى لاتقوى على فراقى.. مش قادرة أسيبك إنما ياللا باى.. ثم ظهرت بعد ذلك موضة جديدة.. وهى أن نقول فى نهاية المكالمة برضه (سى يو)

والترجمة الحرفية إلى أن نلتقى.. وكأننا لن نستطيع الحياة إلى أن نلتقى.. ثم ظهرت بعد ذلك قفلة جديدة للمكالمات نقولها بتأثر مهما كانت هيافة الموضوع الذى نتحدث فيه (لا إله إلا الله)، وطبعًا يجب أن أرد (محمد رسول الله) عليه أفضل الصلاة والسلام... ولكن ما موقعها هنا فى المعنى.. إن ذكر الله والرسول شىء جميل فى أى وقت طبعًا.. ولكن ياإخوانى أنا مش مسافر استراليا.. ولا رايح أعمل عملية جراحية... دى بتكلمنى 19 مرة فى اليوم وتقول لى كده!!

وخذوا هذه.. جديدة برضه.. فى نهاية المكالمة بعد السلام ويااللاباى وسى يو وخلافه.. فجأة وقبل أن أهبد السماعة فى وشها تقول لى تيك كير.. هه!! ما معنى هذا.. هل هى تكلمنى وأنا أتسلق جبال الهملايا وخايفه أحسن أقع على جدور رقبتى؟! أم أننى ذاهب فى مأمورية للقبض على جماعة من الإرهابيين، يعنى إيه.. تيك كير؟ خللى بالك من نفسك.. كده فى المطلق!! من غير أى مناسبة عاوزانى أتيك كير؟!!

وظاهرة أخرى لفتت انتباهى.. حينما تتصل بى إحداهن فأقول ألو.. فإذا بها مخضوضة علطول.. مالك!! صوتك مش عاجبنى.. طمنى عليك.. وأنا لم أقل سوى ألو.. فأقسم لها إنى كويس جدًا ومفيش أى حاجة... ولكنها تتشكك فى كلامى حيث تظننى.. أخفى عليها المصيبة اللى أنا واقع فيها... فتصرخ مذعورة.. بليز قول لى.. ماتخبيش عليا حاجة.. إية القصة يا إخوانا والنعمة ما فيه أى حاجة

ولكنى اضطر أن أجارى مشاعرها.. فما دامت هى مخضوضة فيجب أن يكون عندى ما يستوجب الخضة.. أمال أسيبها تتخض كده على الفاضى.. فأرد قائلاً.. مفيش بس عندى شوية إنفلونزا... فتصرخ مذعورة أكثر (مع إنى كنت باطمنها) وماروحتش لدكتور لحد دلوقت إنت لازم تعمل تشيك آب!! لا... لا... علام تصرخ الولية دى!! أنا بقول لها عندى إنفلونزا عادى يعنى.. مش إنفلونزا الطيور.

وهكذا صرت أرى كل من حولى عشاقًا غارقين فى حب بعضهم بعضًا... كل الكلام حلو.. كل الأحضان دافئة... كل اللقاءات حارة... حتى أننا لم نكتف بعيد حب واحد فى السنة عندنا اثنان، واحد فى فبراير وواحد فى نوفمبر... أمال نودى الحب اللى عندنا ده كله فين.. وفى الأفراح تجد المعازيم يرقصون ويجاملون العروس والعريس فى بهجة وسرور... ولكن ما إن تقترب من أى ترابيزة حتى تجدهم يتهامسون فيما بينهم عن قلة الطعام ورداءة نوعياته.. وأخلاقيات العروس والعريس... وما إن تدخل عزاء تجد المعزين يبكون من فرط التأثر... وما إن تقترب من أحدهم حتى تجده يهمس للجالس بجواره... سمعت آخر نكتة... ويفطسان من الضحك وقد أخفى كل منهما فمه بيده. وفى الكافيهات لا أرى غير عشاق هائمين... ونظرات وتسبيل... يارب.... شوية كراهية بأه... الحب مالى البلد... أعزائى... أحبكم جدًا... قارئًا قارئًا وقارئة قارئة... ولاتتصوروا كم العذاب الذى أعانيه طول الأسبوع إلى أن نلتقى... ياللا باى.. سى يو الأسبوع اللا جاى... و... تيك كير... تيك كير.

قصة أهلاااان!!

أهلاااان!! قالها هكذا.. طويلة... ممتدة... مليئة بالبهجة والفرح حينما رأنى بالمصادفة مارًا بجواره متلقفًا يدى بكل حرارة ليشد عليها، والتفت يده حول يدى وهى بالمناسبة ضعف حجم يدى، حتى اختفت يدى تمامًا فى يده ثم أكمل إحكام يده على يدى، واضعًا يده اليسرى فوق يدى ويده المتصافحتين مؤكدًا لى بتلك الحركة مدى اشتياقه لى... و... فينك يابو حجاج... انت مخاصمنى ولا إيه... وازى المدام والبنوته؟! أظن كبرت دلوقت؟! يابن الإيه... واحشنى... والله انت ابن حلال... لسه جاى على بالى امبارح... امبارح باقول للجماعة عندى فى البيت... الجدع ده مش ظاهر يعنى وانت إيه أخبارك ياعم... كل هذا كان يقوله ويدى لا تزال أسيرة بين يديه... لاتستطيع الانفلات ولا هو يريد أن يفرج عنها وكأننى تركتها له للأبد... بعد انقضاء عشر دقائق على هذا الوضع حاولت أن أسحب يدى ولكنه كان قابضًا عليها وكأننا أنا وهو صرنا توائم ملتصقة لا يمكن فصلهما إلاَّ بعملية جراحية.

مرت ربع ساعة!! ويدى بدأت تعرق... حاولت أن أستفيد من اللزوجة التى بين يدينا لكى أزفلط يدى وأخرج بها واحدة واحدة كده، ولكن كان هذا مستحيلاً، فيده اليسرى كانت قابضة على يدى اليمنى عند الرسغ!! يارب انقذنى من هذه الورطة، أريد أن أمشى بأه... ولكن كيف سأمشى تاركًا يدى بين يديه؟ والله لو كان ممكنًا لتركتها له، ولكن كيف!! أخذت أهز يده كإشارة لانتهاء المصافحة حتى أسحب يدى بطريقة ودية... ولكنه لم يتفهم تلك الإشارات واستمر ممسكًا بيدى وكأنه وجد كنزًا، ومددت يدى اليسرى وأخذت أربت على يدينا اللتين التصقتا حتى انبهه أن المصافحة انتهت، وكانت غلطة عمرى إذ تلقف يدى اليسرى هى الأخرى وضمها إلى المجموعة... صارت يداى الاثنتان محبوستين هما أيضًا بين يديه، وكان من يرانا من بعيد يظن أننا نلعب (كلوا بامية)!! وظل يردد... أيوه ياحبيبى... كنت عاوز أقولك إيه كنت عاوزك فى إيه واللهى الواحد دماغه بأت مش معاه!! لماذا لا يتركنى ياناس!! هل إذا ترك يدى سأهرب... ماله يكلبش فيَّا هكذا... يارب خلصنى بأه... ويبدو أن أبواب السماء كانت مفتوحة... فقد مر أحد الأصدقاء الذى ما إن رآه صاحبنا حتى هتف به... أهلاااان!! وأخيراً رفع يده اليمنى عن يدى وصافح الرجل ممسكاً بيده هو أيضًا، ولكنه لم يترك يدى أنا، ظل ممسكاً بها بيسراه هامسًا لى استنى انت رايح فين... أنا عاوزك والتف

بجسمه نحو الرجل وهو ممسك بيده معطيًا ظهره لى... محافظًا على يدى فى يده برضه، إذا نظرت إلى الموقف عن بعد... قد تفسر المشهد على أنه واحد ضابط قافش اثنين حراميه!! وظل يكلم الرجل الآخر معاتبًا... بأه ابعت لك الراجل ويقولك إنه جاى من طرفى وماتخدموش برضه!! وأخذ الرجل يبرر وهو يناقشه.. كل هذا ويده لاتزال تمسك بيدى لايريد أن يتركها... ولم يكن أمامى ما أفعله سوى تلك الحركة الطائشة حينما دفعته بقدمى وأعطيته شلوت فى قصبة رجله... فانفلتت يدى من يده أخيرًا.

حقاً ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.. وسحبت يدى بسرعة وأطلقت ساقى للريح.. وهو ينظر نحوى مدهوشًا من تصرفى!! أعلم أن تصرفى كان مجنونًا بعض الشىء، ولكن لم يكن فى يدى شىء أفعله سوى هذا، ولقد أقسمت بعدها ألاَّ أصافح أحدًا، ولا أسلم على أحد واضعًا يدى دائمًا فى جيوبى ملقيًا السلام بإيماءة من رأسى فهمها الأصدقاء للأسف على أنها تناكة منى أو غرورًا، وقد كتب أحدهم فى إحدى المجلات: إننى امشى بألاطة ولا أسلم على أحد... وأنى أقص لكم قصة (أهلاااان) هذه للتوضيح بعد أن شردنى صديقى فى كل حته، وقال إننى لا أمد يدى للسلام ومن يكره السلام؟ أنا!! أنا بالعكس من أشد أنصار السلام!! ولكننا لا نحب السلام الذى يقيدنا ويجعلنا مكتوفى الأيدى!!

هل لاحظتم الجملة الأخيرة؟! سياسية قوى برغم إن الموضوع هايف خالص، ولكننا فى نهاية المقالات يجب دائماً أن نقول أشياء كبيرة ولذا لا تعط يدك لأحد إلاَّ إذا كنت واثقًا من عودتها إليك فى أقرب فرصة... حتى لو أخذها لكى يحلف عليها... ويقولك والعشرة الكرام دول.. اسحب الخمسة بتوعك، وسيبه يحلف بالعشرة بتوعه هو.

واحشنى ياراجل

لا تصدق أى أحد يقولها لك.. لا أحد يوحش أحدًا ولا أحد يحب أحدًا ولا شوق ولا حنين، وكل من يقول غير ذلك الآن... كـذاب... كذاب، فى أصل وشه... لقد صرنـا جميعـاً أسـاتذة فى فـن الكـلام... أنظروا إلى أطفالكم... هل يتكلمون مثلكم حينما كنتم أطفالاً؟! عصر الفضائيات والموبايلات والنت والتشات جعل الأثير مزدحمًـا بـصورة رهيبة... صـار الكـلام سـهلاً... وتمثيـل الكـلام صـار شـيئًا بـسيطًا للغاية..

لقد أصبحنا كلنا ممثلين عـلى أعـلى مـستوى... ولهـذا لم يعـد يمـلأ أعيننا هؤلاء النجوم الذين نراهم على شاشـات الـسينما والتليفزيـون، وماذا يفعل يعنى هذا الممثل لكى يكسب كل هذه الملايين، عليا النعمة أنا بامثل أحسن منه، البلد كلها عاوزة تمثل الكل يمثـل.. الـسياسيون يمثلون على الشعوب.. أنظروا إلى الرئيس بوش وهو يتكلم عن رغبته فى تحرير شعب العراق ونشر الديمقراطية، قلبك يتقطع على الراجـل،

تحس إن الدمعة ح تفر من عينه.. انظروا إلى المذيعين على الشاشة... إنهم يمثلون أنهم مذيعون.. التأثر مفتعل والدموع كاذبة... واللطافة وخفة الدم مصنوعة... كله تمثيل فى تمثيل.. وماذا عن لاعبى كرة القدم؟! ياحفيظ.. ما إن يتلقى أحدهم زقة أو زغدة حتى يسقط سقطة مروعة ويظل يتقلب على النجيل كأن بلدوزر هو الذى خبطه، حتى ينتهى به الحال مرميًا فى منطقة الجزاء وقد قطع النفس تمامًا، وحينما لا يحسبها الحكم ضربه جذاء يبدأ فى الإقافة ويشير له ووجهه ملئ بالإحساس بالظلم والاضطهاد فين الإنذار ياحكم!! وضيوف البرامج صاروا أيضًا يمثلون.. فهذا يمثل دور القومى العروبى ويظل يؤدى دوره بكل حماس، بينما أمامه الضيف الآخر الذى يقوم بدور الواقعى، ونبدأ تمثيلية ولا أروع ولا أحلى على رأى الكابتن شوبير.

وقد انتشر وباء التمثيل العام حتى صار ملمحًا واضحًا فى سيمفونية الأداء اليومى.. والبنات اللاتى مثلن أنهن فتيات ليل.. كن يمثلن قبل ذلك أنهن جمهور، يصفقن على أشياء لا يشعرن بها ويضحكن على نكات سخيفة، وكله أكل عيش... تمامًا مثل مهنة الشحاذة.

إن الشحاذ المحترف لابد وأن يمثل... ودرجة تمثيله وإقناعه للآخرين تحدد دخله اليومى... وأطفال الشوارع صاروا أساتذة فى فن التمثيل معجزات تمشى على الأرض.

وقد حكى لى أيمن وهو طفل شوارع محترف، عذاباته مع عمه الذى يقسو عليه ويضربه إذا لم يعدله آخر الليل بالمعلوم.. وكشف لى أيمن عن مناطق فى جسده محروقة فعلاً بالنار، وبكيت بكاءً مرًّا.. لهذا اليتيم الذى أتى إلى الحياة ليجد هذا العم منزوع الرحمة، وحاولت أن أساعد أيمن فى الخفاء... ولكننى علمت بعد ذلك أن أيمن.. ليس يتيمًا، ولا يعيش مع عمه وأن أمه وأباه على قيد الحياة، وأنه الذى يهرب منهما بإرادته، ورغبته.. وقصة عمه.. هى من تأليفه وإخراجه وتمثيله، تصوروا... واد مايجيش قد ركبتى يضحك عليا.. المصيبة الأكبر كمان.. إننى علمت أن اسمه ليس أيمن وإنما اسمه سليمان... تخيلوا... ولقد صارت عندى عقدة حقيقية... ما إن يفتح أحدهم فمه ليكلمنى حتى أحس أنه سيبدأ فى التمثيل فتنابنى حالة عصبية.

إن الأفلام التى نعيش فيها كل يوم زادت على الحد... بالأمس طرق الباب فوجدته أمامى ذلك الرجل الذى يمثل إنه كشاف الكهرباء.. ابتسم ابتسامة متكلفة وقال.. ممكن نشوف قراية العداد.. كان يحاول أن يبدو طبيعيًّا ومع ذلك لم يعجبنى أداؤه.. دخل مدَّعيًا الخجل وقرأ العداد وخرج.. ورمقنى بنظرة قبل أن يخرج.. قلت لنفسى ماذا سيطلع فى النهاية؟ هل سيطلع مع العصابة أم مع البوليس؟ كلاهما يفعل ذلك.. وبينما أنا غارق فى شرودى طرق الباب مرة أخرى وكان الرجل الذى يمثل أنه الزبال، أخذ المعلوم وحمل

الزبالة فوق ظهره لكى يسبك دوره ومضى.. لا.. المسألة زادت على الحد يااخوانا، كل هؤلاء الممثلين من حولنا ليسوا أعضاء فى نقابة.. أين أشرف ذكى.. لماذا لا يتحرك؟ ورن جرس التليفون وكان أحدهم يمثل أنه صديقى يهتف بى.. حبيب قلبى.. واحشنى ياراجل... عزيزى القارئ، لا تصدق أى أحد يقولها لك. ولا أخفى عليك أننى هذه الأيام أتشكك فى أننى شخصيًّا أمثل دور الكاتب هل لاحظت ذلك!!.

كرامات الشيخ على

كان الشيخ على جالسًا أمامى على الشاشة فى تلك المحطة الفضائية مرتديًا بذلة جينز (ديرتى) مصففًا شعره بعناية... مطيلاً سالفيه فى نيولوك عصرى، وبجواره المذيعة اللبنانية الجميلة تبتسم فى نعومة مثيرة... حتى أنك لو قفلت صوت التليفزيون لظننت أن هذا ليس الشيخ على وهذه ليست مذيعة.. وإنما هو المطرب المحبوب وليد توفيق يغنى أنزل ياجميل على الساحة.. وأمامه الموديل.

كانت رسائل الـ **sms** تنهال على الشاشة.. حتى أخفت نصفها، كلها استغاثات تتوسل للشيخ على.. الحقنا ياشيخ على... انقذنا ياشيخ على، واتصلت عائشة من المغرب وهى ترتجف بين دموعها... وقالت... جوزى ياشيخ على.. وابتسم الشيخ على.. وقال لها بثقة لبنانية تامة.. باعرف.. باعرف كل شىء شو اسم الوالدة تبعك؟ قالت عائشة.. اسمها خضرة.. قال اسم جوزك قالت حسان.. وشو اسم الوالدة تبع جوزك... قالت وورود.. قال الشيخ على.. بس

خلاص.. ماتحكى.. جوزك ياعيشة ما عاد يطيقك.. متصورك عبدة سودا فى عويناته صح.. وعائشه تقول.. صح ياشيخ على.. وأنت تحسين بصداع ووجع فى الظهر وما تقدرى تاخدى نفسك. وعائشة فى إحباط واكتئاب دائم.. صح.. وعائشة تصرخ.. صح ياشيخ على.. يقول... بعون الله.. فى ثلاثة أيام يرجع جوزك لحضنك ويصير خاتم فى إصبعك بس تعملى اللى بقولك عليه.. أكتبى ياعيشة تقرأى آيه رقم 7 من سورة الكهف و 144 من سورة البقرة.. و 18 من سورة الأنعام.. والكوثر كلها ثلاث مرات كل يوم وبعدين تكتبى الدعاء هادا فى ورقة.. وتحطيه فى صحن ماء.. تشربى شربة منه والباقى تحطيه على عتبة البيت من شان يمر عليه بقدمه وهو داخل.. تقول عائشة.. بس ده سايب البيت وما بيجيش ياشيخ على... يقول الشيخ على.. مافيه مشكلة.. هاتى قميص تبعه ورشى عليه الماء اللى فيه الدعاء، ولكن عائشة تقول.. ماهو أخذ هدومه ياشيخ على مش سايب حاجة له فى البيت، هنا يزهق الشيخ على ويسألها فى ضيق.. ولاشراب.. ولا منديل.. عيشة تتنهد فى حسرة ولا أى حاجة ياشيخ على... يقول الشيخ على... ولا يهمك ياعيشة.. أنا وكيلك وبعون الله تلات أيام وتلاقى حسان بيدق الباب وراجع لك، مع السلامة ياعيشة.

ثم ينظر الشيخ على للمذيعة ويقول لها.. مسكينة عائشة أنا مارضتش أقول لها إن جوزها فى حياته واحدة تانية حتى لا تصير مشاكل لكن بعون الله حسان يرجع ذليل لعيشة قبل تلات أيام!!

واتصال آخر من جاسم فى السعودية.. أمى ياشيخ عـلى.. ويبتـسم الشيخ على بثقة لبنانية متناهية.. باعرف.. باعرف كل شى.. شو اسـم الوالدة تبعك... يرد جاسم.. اسمها أم جاسم.. يقول الشيخ على بس خلاص.. ما تحكى.. الست والدتك تعبانة وجع فى رأسها وضهرها.. وما بتقدر تاخذ نفسها عندها حالة نفساوية وإحباط واكتئـاب دائـم.. صح.. يقول جاسم.. الدكاترة بيقولوا عندها سرطان ياشيخ.. يقـول الشيخ على.. باعرف.. بـاعرف كـل شـىء، لكـن مارضـيت أقولـك عشان ما تصير مشاكل... اكتـب جاسـم.. تقـرا آيـة رقـم 18 سـورة المائـدة.. وآيـة رقـم 9 سـورة الزلزلـة ... وأيـة 32 سـورة هـود... والإخلاص كلها... لمده 11 يوم... وبعـون الله قـدام العـالم كلـه.. ح نشوف شو صارت صحة والدتك بعد 11 يوم.

وهكذا... يظل الـشيخ عـلى يعـالج الأمـراض العـضال.. ويعيـد الأزواج والزوجات إلى بعضهم... ويعطى روشتات لجلب الـرزق... وهذا ابن طفشان من أهله خرج من ثلاثة أشهر ولم يعـد... بـسيطة.. خذوا أرقام الآيات القرآنية من الشيخ على.. واقرأوهـا كـام يـوم.. ح تلاقوا الباب بيخبط وأيمن على الباب وأخيراً ياأعزائى... لماذا غـضبنا كل هذا الغضب لهجمة الغرب على الإسلام؟ ولمـاذا نادينـا بمقاطعـة السلع الدانمركيـة بعـد أن هـاجموا بوقاحـة الرسـول (عليـه الـصلاة والسلام)؟! إذا كنا نحن نفعل هـذا بأنفـسنا.. هـل تعلمـون مـثلاً أن

الأنسولين الذى يعالج مرض السكر مستوردة كله تقريبًا من الدانمرك... فهل نتوقف عن استيراده، ونلجأ للشيخ على لكى يعالج أمة الإسلام من مرض السكر؟! وأخيرًا ياشيخ على... أنا الصداع ماسك راسى ومش قادر اخد نفسى، وعايش فى إحباط واكتئاب علطول وعاوزك تعمل لى حجاب يريحنى من اثنين أنا عارف أن هما سبب اللى أنا فيه ده.. واحد اسمه بوش وأمه اسمها باربرا... وواحد اسمه أولمرت ولو عاوز اجيب لك اسم أمه أجيبهو لك.

الغلط... فين؟!

كاد أن يقتلنى!! والله العظيم كاد أن يخلصكم بحركة طائشة من مقالى الأسبوعى هذا، حينما انحرف بسيارته فجأة ودون أى سبب واضح، وقفز بها فوق الرصيف الذى كنت لا أزال أعتقد أنه مخصص للمشاة... ولا أعلم حتى الآن كيف قفزت أنا أيضًا بمهارة عجيبة فاتحًا سبرنت غريب وقد لبستنى روح أبوتريكة مبتعدًا (بحلاوة الروح) عن السيارة الطائشة تلك المسافة الصغيرة جدًّا التى أنقذتنى من أن يكتب اسمى فى سجل الوفيات... محافظًا على بقائى معكم محتفظًا برقمى القومى... كيف حدث هذا؟! ولماذا حدث؟! وماذا سيحدث بعد جريمة شروع فى قتل تتم على قارعة الطريق أمام عدد لابأس به من الشهود؟!

كل هذه الأسئلة انسكبت من عينى متمثلة فى نظرة وعيد أو لوم أو اعتراض سددتها بكل قوة نحو قائد السيارة المجنون، والذى كانت التهمة ثابتة عليه تمامًا وكل القرائن ضده... خصوصًا وأن هناك نقطة

استراتيجية مهمة وهى أن صاحبنا كان يقود السيارة فى عكس اتجاه الطريق... كان رأسى قد ارتطم بالعمود حينما حاولت أن أهرب من السيارة المتجهة نحوى بكل قوة، كان الارتطام بالعمود قويًا حتى أننى قلقت على مستوى كتاباتى فى المرحلة القادمة... مما يجدر بالنقاد أن يقسموا حياتى الأدبية إلى مرحلتين مرحلة ما قبل العامود... ومرحلة ما بعدالعامود.

لم أقل لكم ماذا كان رد فعل قاتلى نحو تلك النظرة التى سددتها نحوه بعد فعلته الشنعاء... الحقيقة أنه سدد نحوى هو الآخر نظرة أخرى.. ولكن نظرته أغاظتنى أكثر من فعلته، حيث كانت نظرته تعنى... مالك!! فيه إيه ياعم الحاج!! انت ح تستموت فيها!! والله العظيم أنا لا أتجنى عليه... هذا ما كانت تحمله نظرته من معنى... وأنا أفهم فى النظرات جيِّدا... وكان يجب أن تتوقف تلك العلاقة الصامتة بيننا المتمثلة فى تسديد النظرات ونفتح صوتنا بآه... قلت له... ينفع كده يعنى ماشى غلط وفى العكسى وكنت ح تموتنى!! هل فيما قلته يا أعزائى أى إهانة بالنسبة لشخصه المحترم؟ أنا كنت أقر ماحدث، هذا كل شىء... كنت أحكى له الحادث باختصار فما الذى يجعله يفتح الباب وينزل مسرعًا وكأننى شتمته؟ ثم يفتح جعورته ويصرخ.. نعم يابا!! عاوز إيه.. آه ماشى غلط.. انت ح تحاسبنى... وبعدين أنا لمستك!! لو عاوز تتخانق أنا معاك للصبح.. ورينى بأه

ح تعمل إيه.. ثم خلع الجاكيت وألقى به فى السيارة استعدادًا للمعركة.. تدخل أولاد الحلال فى الشارع.. يهدئونه... يهدئونه هو!! خلاص ياكابتن.. معلشى ياكابتن.. حصل خير..

كانت محاولاتهم لتهدئة تزيد من عصبيته وجنونه وهو يحاول بكل قوة أن ينفلت منهم لكى يضربنى.. وكانت جملاً من نوعية.. طيب أنا ماشى غلط بأه وحياة أهلك.. وح أوريك ح أعمل إيه.. ووقف الشارع كله تمامًا... السيارات من خلفه كانت تئن... والبعض يقول يا إخوانا عندنا مصالح!! كنت مصرًا على أن أعمل محضر.... ياجماعة ده ماشى غلط!! همس لى أحدهم... ياعم هو يعنى لوحده اللى ماشى غلط.. ما كل حاجة حوالينا ماشية غلط.. ح تمسك فى دى!! لم تزحزحنى تلك النظرة الفلسفية وتجعلنى أتنازل عن أن أعمل له محضرًا... مادام ماشى غلط لازم يتحاسب... ولو سكتنا على الغلط البلد ح تضيع... همس لى رجل آخر.. ياعم محضر إيه مش ح تاخد لاحق ولا باطل.. ومش ح ينوبك غير العطلة، أنت شايف عربيته أرقامها عاملة إزاى؟! أربع أرقام متجوزين 3100 اللى يجيب نمرة زى دى يبأه واصل ياعم الحاج... ماتضيعش وقتك.

نصف ساعة كاملة مرت ونحن فى هذا الموقف... بدأ بعض قائدى السيارات يحاولون التخلص من هذه الوقفة... فيلفون ويديرون سياراتهم ويعودون... كانوا جميعًا يمشون (غلط). قال لى

سليمان عبدالفتاح حسنين شفت يا أبو حجاج.. أهوه.. كله ماشى غلط.. بالمناسبة.. سليمان عبدالفتاح حسنين هو ذلك الرجل الذى همس لى فى بداية المشهد أن أفوت الموضوع، وقد صار صديقًا عزيزًا بعد أن طالت وقفتنا... انتهى المشهد... وعادت السيولة المرورية ولم يتبق من المشهد سوى أصداء لصراخ قائد السيارة فى وجهى... وبذاءاته وتعليقات الواقفين... وجبهتى التى كانت متورمة بعض الشىء بسبب ارتطام رأسى بالعمود اللى كان واقف غلط... ثم نصائح (سولوم) سليمان عبدالفتاح لى... والتى تؤكد أننى لا أفهم الدنيا جيِّدا... وأننى محبكها بعض الشىء وأننى.. أنا.. اللى ماشى غلط.

ملحوظة.. شىء آخر قد حدث وكان ينبغى أن أطلعكم عليه، أننى اكتشفت بعد أن غادرت المكان أننى فقدت حافظة نقودى.. وعذرًا .. يارب سامحنى.. أنا أشك فى أن الذى نشلنى هو (سولوم)!!

فوزى... بتاع زماان

هذه رسالة من صديق... أنقلها لحضراتكم كما أتت لى دون تغيير أو تعديل، يقول فيها: (الكاتب الجميل الذى أشعر كلما قرأت اسمك على صفحات الجرائد أو على أفيشات الأفلام بسعادة غامرة لاأستطيع أن أصفها لك... وسعادتى للحق ليست نابعة من متابعتى لكتاباتك أو أعمالك الفنية... وإنما لمتابعتى فقط لانتشار اسمك وكبر حجمه وبنطه طوال السنوات الماضية – دول حتى ساعات بينشرولك صورة كمان جنب المقال- ولا تؤاخذنى على عدم قراءة مقالاتك أو مشاهدة أعمالك.. إنما أنا أسمع أنها حلوة.. فتقبل عذرى فلا وقت عندى لأى نوع من أنواع الترفيه، فدوامة أكل العيش تجعلنا ندور ونلف حول أنفسنا.. أنت طبعًا لم تتذكرنى بعد، ولك كل العذر كان الله فى عونك.. أنا يا بوحجاج أبأه فوزى بتاع زمان... زميل التختة فى مدرسة أم المؤمنين الابتدائية المشتركة.. اوعى تقول إنك مش

فاكرنى.. أحسن أزعل، مش عارف ليه كل اللى بيوصلوا ويتسهروا ياأبو حجاج بينسوا أصحاب زمان... بأه تنسى فوزى!!! ده احنا اتمدينا على رجلينا سوا ياراجل يوم ما ضبطونا فى المدرسة واحنا طالعين على شجرة النبق... وفاكر ساندوتشات الفول ياأستاذ ولا نسيتها؟ طيب مين اللى علمك سواقة العجل؟! بأه ياسيدى أنا شفت لك صورة من كام يوم منشورة فى الأهرام وأنت واقف جنب ميرفت أمين، يابختك ياعم عليا النعمة كأنك لسه قاعد جنبى فى التختة فى سنة أولى تالت، ولا كأن أربعين سنة عدوا ياجدع.. قعدت أبص لك وأضحك... أضحك... افتكرت يوم ما اديتك على قفاك وجريت وأنت قعدت تعيط فى الحوش، أوعى تكون لسة شايل منِّى يابوحجاج!!

وافتكرت كمان لما قفلت عليك الحمام بتاع المدرسة من برة وأنت قعدت تخبط وتصوت ومحدش كان سامعك... كانت أيام حلوة ياأخى!! وعلى فكرة المقلمة اللى ضاعت منك وقلبت الدنيا عليها وأبوك رنك علقة سخنة علشان ضيعتها... بصراحة أنا اللى أخذتها منك... أصلها كانت جديدة كده وعاجبانى... وفضلت لحد ماخلصنا ابتدائى ضميرى بيعذبنى وعاوز أعترف لك إنها خفت أحسن تجرسنى فى المدرسة كلها... ياااه... يايوسف... الواحد لو فتح فى الكلام عن الأيام دى مش ح يخلص.

عمومًا أنا عارف وقتك ياأستاذ مش ح أطول عليك... أنا ياسيدى مش عاوز منك أى حاجة، أنا بس حبيت أقولك إنى فرحان بيك... وأنا دلوقت عندى ثلاثة عيال... فتح الله... وده ياسيدى اتخرج فى الجامعة السنة دى وقاعد فى أرابيزى ومش لاقينله شغل، وأنا قلت له ياد يافتح الله مش ح يشغلك غير عمك يوسف. الوسطانية بأه عفاف.. والبت طالعه صوتها حلو قوى أحلى من شرين أه ياالليل... ياريت لو بس تقعدها مع واحد ملحن ولا منتج زى محروس ده، يمكن يعمل لها شريط ولا حاجة ما أنا عارف كلهم حبايبك.... الواد الصغير بأه مرسى... عنده 15 سنة ومش فالح فى الدراسة إنما تشوفه وهو بيلعب كورة فى الشارع يابوحجاج تتخض... ماردونا قدامك بيلعب.. وأنا كنت شفت لك صورة قاعد مع زيدان اللى بيلعب فى ألمانيا ده وشايفك محتضنة قوى، ماتخليه يشوف الواد مرسى يابوحجاج يمكن ياخذه معاه ألمانيا ولا حاجة... أنا عمومًا كاتب لك الجواب ده محبة والله العظيم ولا عاوز منك أى حاجة غير إنى أسمع عنك كل خير... هوه بس فيه طلب كده... المدام عندى أصلها موظفة فى وزارة المالية... لو عندك حد ينقلها لنا تشتغل فى الضرائب ح يبأه جميل عمرى ما حانساهولك... وأنا باعتلك صورة من أرواقها والدرجة الوظيفية اللى هى فيها... أما بالنسبة لى أنا ياحبيب عمرى.. أنا مش عاوز أى حاجة، أنا طلعت معاش مبكر وسويت معاشى وفتحت قهوة صغيرة كده على قدى ومستورة والحمد لله بس بتوع

الحى مطلعين عينـــى ياأستـــاذ... لـو تليـفـون صغير منك للحـى أو للمحافظ... ح تخلص.. أنا عارف... ماكلهم حبايبك... وأنا عـارف أن أنا ليا معزة خاصة عندك وأنا فوزى بتاع زمان.. والنعمـة الـشريفة فرحان لك ياخويا يايوسف كـده لوجـه الله ولا عـاوز مـن وراك أى مصلحة، بالمناسبة – وأنا معـدى فى شـارع الهـرم لقيـت اسـمك عـلى مسرحية لعادل إمام... بتاعتك دى يابوحجـاج؟! طيـب لـو بتاعتـك عاوزين بون بتسع أفراد علشان محاسن أخت المدام وجوزهـا وعيالهـا نفـسهم يـشوفوها عـاوزين نتبـسط ونتفـرج ونـدعيلك... سـيبك يابوحجاج... كل حاجة فى الدنيا دى فانية. المحبة الـلى بجـد... هـى اللى بتدوم.

وعـشان تفتكرنـى أولى تالـت.. مدرسـة أم المـؤمنين الابتدائيـة المشتركة. أخوك فوزى بتاع زمان.

نظام عبد الدايم

نظام عبدالدايم... رجل مهيب عظيم الجاه والسلطان، ظل لآلاف السنين محتفظاً بتلك المكانة العالية الخطيرة، لا يتحدث عنه الناس إلاَّ همسًا إذا كان لهم رأى يخالف رأيه، ويسعى الكثيرون للتقرب إليه، والسيد نظام عبدالدايم أحياناً قليل الصبر، ضيق الصدر، والتعامل معه غالبًا ما يكون محفوفًا بالمخاطر، لذا فقد آليت على نفسى أن أحتفظ بتلك المسافة الآمنة بينى وبين السيد نظام، وبحكم عملى كنت أحيانًا ألتقى بالسيد نظام فأكتفى بابتسامة رقيقة، وتحية خجولة، صباح الخير يانظام... إزيك دلوقت... مش الأحوال تمام... وبس... مفيش أكثر من كده... يانحلة لا تقرصينى ولا عاوز عسلك!! مما جعل كتاب النظام يصفوننى أحيانًا بأننى من كتاب المعارضة بينما تبرأ منى المعارضون وصنفونى كاتبًا للسيد نظام، إلى أن قرر السيد نظام عبدالدايم فجأة أن يطلق حرية التعبير بلا حدود وبلا سقف، فى سابقة تعد الأولى من نوعها من أيام الملك مينا موحد القطرين، الذى ظهر

لأول مرة على لوحة نارمر وهو يجرجر المعارضين من شعورهم ويمسح بهم البلاط، وصارت المعارضة هى الموضة، بل صارت أشبه بالمزاد العلنى، واكتسب المعارضون الجدد نجومية خاصة كل حسب حدته ودرجة هجومه واختياره لألفاظه فى شتيمة نظام عبدالدايم، بل لقد صارت المسألة مربحة أيضًا حتى إننى حضرت جلسة لأحد رجال الأعمال قال فيها أحدهم له: ما تيجى نعمل مشروع جريدة معارضة ياباشا، بيقولوا مكسبها حلو، وصار المعارضون نجومًا على الفضائيات ينتظرهم المشاهدون أكثر مما ينتظرون نجوم السينما، حتى إن فتاة رقيقة كانت تشاهد بجوارى أحد المعارضين على الشاشة وهو يحلف بالطلاق إن مفيش حاجة عدلة فى البلد دى، قالت لى: نفسى ياأبيه أتجوز واحد معارض!!

عدت إلى بيتى وأنا فى قمة الحيرة، ماذا أفعل؟! هل سأظل هكذا أكتب أشياء لا يحتفى بها السيد نظام عبدالدايم، ولا حتى تتبناها جرائدة المعارضة، وقررت أن أفعلها أخبط مقالة من إياهم ترج البلد، وتانى يوم أكون فى قناة (الجزيرة) بازعق، وعمومًا هما بيدفعوا 300 دولار فى الحلقة، مش وحشين، ولكن فيم سأكتب؟!

أخذت أقلب فى جرائد المعارضة وأفلِّيها، إنى ألاقى موضوع ماتكتبش فيه!! أنهم يشتمون كل شىء لقد أغلقوا فى وجهى كل الأبواب، كلمت أحد المعارضين أصدقائى وطلبت اللقاء. فى المقهى،

استقبل صديقى المعارض بحفاوة كبيرة من الجالسين، جلس فى ثقة وسعادة وقال: أهو الناس دوله ياجو هما اللى بيدونى الطاقة عشان أقدر أواصل المسيرة، همست له بود: عقبالى ياسيدى.. قال: المسألة سهلة خالص، قول اللى جواك وما يهمكش حد، دخل السائق وهمس فى أذنه، ما تنساش ميعاد البرنامج ياأستاذ، قال المعارض: حاضر... حاضر.. بس قول لهم يحضروا الظرف قبل ما اطلع الهوا، سألته فى فضول: المقال اللى كنت كاتبه الأسبوع اللى فات ده!! ده يودى فى ستين داهية.. أومأ برأسه مبتسمًا وقال: أيوه... أيوه.. ده قلب الدنيا.. ده أنا ح أعمله سلسلة.. شوف يا بوحجاج المعارض هو الإنسان اللى ممكن يدخل السجن عشان خاطر أفكاره.. قلت له: وأنت دخلت السجن؟ قال: أهوه... بحاول... قلت له طيب ياأخى ماتأخدونى معاكم مش فى السجن، فى الجرنال، قال: معلش ياجو مفيش مساحة للنشر.. انت عارف الضغط علينا فى الجرنال... وتركنى مسرعًا ليلحق بموعد الهواء... وسمعته وهو يقول فى بداية البرنامج: إن جريدته مستعدة لنشر جميع الآراء.. فأغلقت التليفزيون وكفرت بالمعارضة.. قررت أن أكون كاتب النظام.. وأخذت أقلب فى الجرائد القومية إنى ألاقى موضوع ما كتبوش فيه... إنهم يمدحون كل شىء... لقد أغلقوا فى وجهى كل الأبواب هم أيضًا... وكلمت أحد المنافقين من أصدقائى... وطلبت اللقاء كان آتيًا من برنامج حكومى شهير على الهواء... وكان خلفه سائقه... وحارسه... وعرضت نفسى

مرة أخرى... ياأخى ما تاخدونى معاكو... ابتسم رجل النظام من سذاجة عرضى المباشر وقال: شوف ياجو.. المسألة مش بالسهولة دى.. كاتب النظام لازم يتربى فى حضن النظام طول عمره عشان النظام يثق فيه ويديله المكانة دى... وانت ما تأخذنيش متربى فى الشارع... انت أتأخرت قوى... كنت فين مثلاً أيام الانتخابات... ماتخافش... محدش فوق بيكرهك... إنما كمان محدش يعرفك... انت فاهمنى!! وبعدين أنت كنت بتعمل إيه إمبارح مع صديقك المعارض؟! اندهشت!! كيف عرف؟! لقد كان لقاؤنا سريًا وخاطفًا... مين اللى قال لك... ابتسم كاتب النظام وقال لى... هوه اللى قال لى.. ماهو كان معايا فى البرنامج بتاع الجزيرة!!.

شريط حياتى... ياعين

لا شك أن الشريط السينمائى ما هو إلاَّ محاولة بشرية لتلخيص الحياة، فى ساعتين تقريبًا، وفى خلال الساعتين يتقبل الجمهور العزيز أن تحدث أشياء لو حدثت فى الواقع لا ستغرقت عشرات السنين، فهذا بطلنا يهم بتقبيل البطلة فجأة... فتقاومه... وتضربه بيديها الطريتين على صدره القوى... لا... ما يصحش... عيب يامحسن... لا... يامحسن... ولكن أمام إصرار الذكر وضعف الأنثى... تستسلم بطلتنا فجأة برضه وهى طيبة بالمناسبة... لتصبح فى المشهد التالى حامل علطول، حيث يرفض محسن الاعتراف بالطفل القادم.. وفى المشهد الذى يليه يأتى الطفل مجهول النسب بالنسبة لكل كاست الفيلم، بينما لا يعرف أحد أن محسن هو الذى معها سوى الجمهور والطيبة طبعًا... ويلى ذلك مباشرة مشهد يبدأ من عند قدمى الطفل لتطلع الكاميرا حيث صار الطفل شابًا.. وقد ظهر الشيب على شعر محسن، أما الطيبة فلا تحدث على وجهها أو ملامحها أى تغييرات،

خاصة بتقدم السن لاعتبارات أنثوية نعملها جميعًا... ياسلام لو كانت حياتنا فعلاً سريعة متلاحقة كشريط سينمائى.

تأتى ابنتى من المدرسة سعيدة مبتهجة... تقول لى اسمع يابابى الأغنية اللى علموهالنا فى المدرسة... أنظر إليها بحب أبوى جميل به لمسة حزينة لا أعرف سببها حتى الآن... وأربت عليها قائلاً: غنى ياهيا... وتبدأ هيا فى الغناء... ثم زووم إن على وجهى... ثم تعود الكاميرا فى اللحظة نفسها لهيا، وقد صارت فتاة ناضجة وبقت فرد محصلش ومزة حكاية، وقد وفرت عليا سنوات من المصاريف والمشاكل والعذاب... أما بالنسبة لرحلة كفاحى وهى فى الواقع كانت رحلة سخيفة رزلة... استمرت لأكثر من ربع قرن ولا تصدقوا أن التعب والشقاء الذى نلاقيه فى حياتنا هو الذى يعطى لها مذاقًا!!

هذا كله تهجيص... أتخيل لو كانت رحلة كفاحى بإيقاع السينما... حينما تخرجت فى الجامعة باحثًا عن فرصة لأكتب فى أى حتة ثم ذهبت إلى مجلة (الكواكب)... فقابلنى الأستاذ رجاء النقاش رئيس التحرير ووضع يده على كتفى وقال ياللا شد حيلك وورينا بأه... ياسلام بأه لو بعد هذا المشهد مباشرة (فوتو مونتاج).. لقطات سريعة لى وأنا سهران أكتب وبجوارى كوب الشاى والأباجورة مضاءة... للتعبير عن المعاناة... ثم كرة أرضية تلف... ومقالاتى تنشر هنا وهناك فى

الدنيا كلها، ثم أوراق النتيجة تتغير بسرعة إلى أن أطلع على المنصة فى المشهد التالى وقد شاب شعرى قليلاً.. لأستلم جائزة نوبل.

الشىء الآخر الذى طالما حلمت به ولا يحدث فى الواقع... تلك الصدمات التى نتلقاها من أقرب الأصدقاء... لنكتشف بعد عمر طويل أنهم كانوا أشرارًا ويضمرون لنا نوايا سيئة... أما فى الشريط السينمائى فالشرير واضح من أول لحظة... فلا نضيع وقتنا فى تصديقه... ولقد سرقنى أحد الأصدقاء فعلاً ورفعنا قضية... بقالها فى المحاكم خمس سنين ولم نأخذ شيئًا... لو كان الأمر بيدى كسيناريست... لهبطت برجال البوليس عليه فى ثانية... ورأيته وهم يدخلونه البوكس وهو يأخذ جزاءه... إن هذا لا يستغرق فى الشريط أكثر من دقيقتين... وفى استعراضى لشريط حياتى اكتشفت أننى عشت كل أنواع الدراما... الرومانسية... والميلودراما.

وحتى موضوع محسن... مررنا به برضه... ولكنه حدث فى الحياة بعد أن تزوجنا واعترفنا بالطفلة... وكان فى شريط حياتى مواقف كوميدية خفيفة برضه... لولاها لكان الشريط مقبضًا جدًّا... وأعترف بأنها لم تكن كلها كوميديا راقية من التى تعجب النقاد... وإنما كان بها أحيانًا بعض الإسفاف... الشىء الوحيد الذى خلا منه شريط حياتى... هو الأكشن!! وهذه مسألة ضايقتنى كثيرًا... فلم يحدث أن طاردت لصًا أو قدت سيارة بسرعة مهولة، حينما كانت

العصابة تتعقبنى فى مطاردة مثيرة... لم يحدث أن دشدشت عربيات أو تسلقت جبالاً... أو دخلت فى معركة حامية الوطيس كما نرى فى معظم الأفلام الآن.. وكثيرًا ما أتأمل بإعجاب تلك السهولة التى يتم بها ضرب الخصوم والانتصار عليهم فى الشريط السينمائى، فلا يلزم البطل لكى يصرع خصمه إلاَّ أن يفاجئه بلكمة قوية على فكه يسمع صوتها (الدولبى) فى قاعة السينما كلها فتجد على أثرها الخصم صريعًا ببونية واحدة.

آه لو كانت حياتنا مثل الشريط السينمائى.. لما كانت هناك أى مشكلة فعلاً... إذا مرضت مثلاً.. تدخل المستشفى فى مشهد واحد ثم لقطة أو اثنتين على جهاز القلب وتخرج وانت زى الحديد... بينما الذين يدخلون المستشفى فى الحياة لا يخرجون... إذا دخلت السجن.. هو مشهد فى الزنزانة ثم ينفتح باب السجن لتخرج وقد مرت السنون... حتى إذا مت فى الشريط السينمائى.. ما هى إلاَّ ملاءة بيضاء يشدونها عليك وأنت على السرير مرتاح قرير العين هانئ البال.. بل إن مقالاً كالذى بين يديك الآن... لو كنت أكتبه فى الشريط السينمائى ما كان أخذ منى كل هذا الجهد... كنت سأكتفى بأن أضع القلم على أول الصفحة و... لا أكتب شيئًا.. ثم فى المشهد التالى مباشرة.. الصراف يعطينى أجرى كاملاً عن كتابة المقال.

ماتجيب بوسة

فى أيام باردة مثل هذه الأيام.. كان جدى الأول جالسًا فى الكوخ من بتاع مليون سنة كده... وأمامه غزالة شهية تنضج فوق النار... وهو يتابعها بعينين نهمتين.. أما خلف جدى فكانت تجلس امرأة شهية برضه تنتظر فى استسلام منابها من الوليمة.. كيف تمكن جدى من اصطياد هذه الغزالة... وتلك المرأة بالمرة؟ سأحكى لكم.. الحكاية أن هذه المرأة كانت مع رجل آخر لا يقل وحشية عن جدى.. وكانت الغزالة هى مهرها ذلك قبل أن يهبط جدى كالصاعقة على الرجل ويديله واحدة على دماغه فيخر صريعًا... ثم يسحب الغزالة من قرونها والمرأة من شعرها ويتجه بهما إلى الكوخ.. الذى هو بالمناسبة مش بتاع جدى برضه.. نضجت الغزالة وبدأ جدى يقطع لحمها بأظافره ويلتهم فى تلذذ قطع اللحم بأنانية واضحة لا شك فيها.. مما استفز المرأة كثيرًا.. ولم تتمالك نفسها وراحت ضارباه على قفاه!! حتة

قفا!! لم ينزعج جدى أو يعترض حيث إن الضرب على القفا فى هذه الحقبة الزمنية كان شيئًا عاديًا أقرب إلى المناغشة منه إلى الإهانة، واستمر يأكل ببرود كأن شيئًا لم يحدث.. مما أثار المرأة أكثر.. وحتة تفه على وشه!! إتفووه... ولم يتحرك جدى... فالبصقة فى هذه الحقبة الزمنية كانت تعد شيئًا لطيفًا لا يستوجب أى انفعال. هنا قالت المرأة.. ما بدهاش بأه.. وانقضت بيدها على الغزالة وهبشت لها هبرة محترمة.. ووضعتها بين أسنانها.. هنا بأه.. ثارت ثائرة جدى.. وصوته جاب آخر الدنيا فأن تأكل معه امرأة فى تلك الحقبة الزمنية كانت إهانة لا تغتفر، وقفز محاولاً الإمساك بالمرأة التى انفلتت بمهارة من بين يديه وجرت وقطعة اللحم فى فمها... وهو يركض وراءها فى عصبية... حاجة قلة قيمة الكلاب ما تعملش كده ياإخوانا... إلى أن أمسك بها وهى تقاومه وتدفعه بعيدًا... ثم مد بوزه لكى يستخلص قطعة اللحم من فمها... وأخذ يشدها بأسنانه... وهى ممسكة عليها بأسنانها... إلى أن شعر جدى بمتعة غريبة لم يكن يشعر بها قبل الآن... وهكذا ياأغزائى... كانت أول قبلة فى التاريخ..

لا أعلم لماذا أتذكر هذه الحادثة كلما رأيت اثنين من الزعماء السياسيين يقبلان بعضهما بعضًا... وأتخيل قطعة اللحم بين فميهما وهما يشدان فيها ويتصارعان عليها... شفت كوندوليزا رايس وهى بتبوس أولمرت!!

والآن... صارت عادة التقبيل بدون مناسبة ظاهرة عجيبة تفشت فى مجتمعنا... هل لاحظت ذلك!! ثلاث فتيات كن جالسات أمامى فى الكافيتريا.. ثم أتت الرابعة التى كانت معهن بالأمس القريب... وما إن شاهدنها.. حتى صرخن... يااه.. إزيك ياماهى ويبدأ مسلسل التقبيل بحرارة مزيفة.. وكأن "ما هى" لسه جاية من الحجاز... وتأتى ميرفت... لا... لا... مش معقول.. واحشانى ياجبانة... وتدور ميرفت عليهن ليقبلنها جميعًا... رغم أن ميرفت كانت قاعدة معهن... وراحت الحمام... ورجعت!! والشباب أيضًا صاروا حينما يلتقون.. يفتحون الأذرع وهات ياقبلات... كل نصف ساعة.. أحضان وقبلات لا نهاية لها... إن عمرنا يضيع فى تقبيل بعضنا بعضًا... وأنا شخصيًا.. دعونى أعترف لكم.. لقد أحصيت عدد القبلات التى اضطررت إليها فى يوم واحد.. فزادت على الخمسمائة.. وكلها مع أصدقاء أراهم يوميًا ولا يوحشوننى إطلاقا... بل بالعكس... زهقان منهم... لماذا نقبل بعضنا عمال على بطال ياإخوانا؟!

الحب مش مقطع بعضه لهذه الدرجة!! وصار البعض يتفنن فى اختراع قبلات جديدة... فهذا بعد قبلتى الخد... يخطف له قبلة من الكتف ده وقبلة من الكتف الآخر... والبعض بعد قبلتى الخد... يعدل رأسى ثم يقبلنى من جبهتى... وبعضهم لا يقبل إلاَّ أربع قبلات... بما يوازى قبلتين على كل خد، وهى مسألة تلوح الرقبة

فعلاً.. الأغرب.. أن التقبيل لم يعد بين الأصدقاء فقط... فهذا يأتى لى ومعه صديق أراه لأول مرة.. أسلم عليه.. فيمد بوزه هو الآخر ليقبلنى... ماذا فعلت له حتى يقبلنى!! الأسبوع اللى فات كنت لابس الطقم الأبيض ركنت سيارتى ونزلت، وأتى السايس نحوى فاتحًا ذراعيه فينك يابيه وحشتنا وانقض عليا وهات يابوس.. المشكلة أنها مسألة محرجة أن تصد أحدهم أو تمنعه من تقبيلك، سيظن أنها تناكة منك أو غرور.. وأنا لا أعرف ماذا أفعل!! بالأمس طرق الباب عندنا فى البيت.. فتحت الباب فوجدت رجلاً يبتسم لى... ويمد يده.. مددت يدى.. فأخذنى فى حضنه وقبلنى عنوة.. بادلته القبلة بقبلة.. ثم وقفنا وكل منا ينظر نحو الآخر... خلاص بوسنا وحضنا.. من أنت.. قال.. أنا بس جاى عشان أكشف على عداد الغاز!!

هذا المقال هو صرخة اعتراض ضد كل من يقبلوننى... يستثنى (المعجبات).

الشعر الأبيض لا ينفع فى اليوم الأسود

لم يحدث أننى خطفت امرأة على حصان أبيض، ومضيت بها فارسًا مغوارًا بالعند فى قبيلتها التى رفضت زواجى منها فى البداية.. ولم يحدث أننى أشهرت سيفًا وحاربت القبائل من أجلها... لم أدخل على زوجتى يومًا والبندقية على كتفى وفى يدى ثعلب اصطدته على سبيل التسلية لأقدم لها فراءه.. لم أواجه أعدائى الأشرار واكتفيت دائماً بأن أقول.. منهم لله... إلهى اللى عملوه فيا يقعد فى عنيهم وعافيتهم... وكنت أبرر دائمًا انسحابى من الخناقات بالمطاوى والسنج بأن هذه الأفعال الصبيانية كبرنا عليها خلاص، وأن الحاجات دى عملناها زمان... والحقيقة أننا لم نفعلها زمان ولا فى أى وقت.

وها قد مرت بسلام والحمد لله مرحلة الشباب... ولولا حرصنا الزائد هذا الذى تسمونه جبنًا لما كنا على قيد الحياة ونكتب مقالات هنا الآن.. ولقد ظهر الشعر الأبيض فى رأسى مبكرًا جدًّا، فى المرحلة الابتدائية.. كان شعرى رزى... فى الإعدادية.. كان شعرى رماديًا

كارف على شعر محمود قابيل كده.. وفى الثانوية العامة كان شعرى بفته بيضا نسخة طبق الأصل من المليجى فى فيلم عودة الابن الضال.. وحينما دخلت الجامعة وذهبت بأوراقى... قالوا لى فى مكتب رعاية الشباب بالكلية، لازم الطالب بنفسه اللى ييجى يقدم أوراقه!! واندهش الجميع حينما علموا أننى أنا الطالب نفسه... وقد ظنوا فى البداية أننى أبى.. وكان يجب أن أصبغ شعرى حتى أستطيع أن أعيش شبابى... بعد أن فقدت مرحلتى الطفولة والمراهقة والتى كساها الشعر الأبيض الذى أتى فى غير موعده.

وبعد أكثر من ربع قرن من الصبغة اكتشفت أن حياتى بالصبغة مرت بسرعة جنونية، وكان يجب أن أهدئ من سير حياتى حتى لانلبس فى حاجة، لقد خدعنا الناس بما يكفى... أكثر من ربع قرن يظنوننى شاباً أسود الشعر منطلقاً ممتلئًا بالحيوية... لا ياإخوانى.. وآدى الصبغة أهيه.. أهلاً بالشيب... ليعد شعرنا أبيض كما كان... وأزلنا الصبغة.. ونزلنا إلى الحياة بالإحساس الجديد.. وعلى مهلى قوى عبرت الشارع.. انحناءات بسيطة ظهرت فى كتفى... ابتسامة طيبة حنون ظهرت فى وجهى.. حتى أنك لو رأيتنى ماشيًا.. لقلت والله الرجل ده بركه هل تأملتم السيارات فى الأفلام القديمة!! كيف تمضى أمامنا فى الفيلم.. هادئة بطيئة... كأنها لا تمشى.. هكذا كنت أنا.. تنظر نحوى تلك الفتاة نظرة عجيبة كأنها تتأمل عربية باكار موديل 42.. ثم

تهمس لصديقتها الله.. شايفة الراجل القديم ده.. ببطء شديد التفت إليها ثم ابتسم، ثم أتحرك ببطء خانق ممل لأفتح فمى.. فى ربع ساعة لكى أقول لها فرصة سعيدة ياآنسة.. تنفجر هى وصديقتها ضاحكتين... فهذه الجملة التى فتح بها الله عليا جملة قديمة صارت خارج القاموس الآن ... ربما قالها عبدالوهاب لسميرة خلوصى فى فيلم يوم سعيد.. يبدو أن الكلام لم يعد هكذا... فهل يشيب الكلام هو أيضًا.

وبدأت ردود الأفعال تتوالى حينما بدأ الناس يروننى بعد أن أصبحت يوسف الأبيض.. همست إحداهن للواقفة بجوارها... هو مش ده يوسف معاطى ياختى.. أمال إيه اللى نيله كده.. ده بأه عدمان. قالت لها زميلتها... من الزفت اللى بيشربوه ياحبيبتى... قال أحدهم لزميله شايف اللى ماشى هناك ده!! مش ده ممثل؟! نظر الآخر نحوى وقال أيوه... أيوه... هوه شبه عمر الحريرى!! ودخلت المقهى وجلست فإذا بالجرسون يصرخ فى أذنى... تشرب حاجة ياعم الحاج... نظرت له بضيق، صوته خرم ودانى... ثم عاد يسألنى وهو يجعر.. أجيب لك رز بلبن يابويا.. قلت له فى غيظ... هات لى قهوة وانجر من وشى... ابتسم الجرسون ابتسامة حانية ساخرة من رجل كهل مثلى يشتمه ولابد طبعًا أن يأخذنى على قد عقلى احترامًا لسنى... وفجأة اقترب منِّى شحط طول بعرض.. وسلم عليا... أزى حضرتك ياعمو... عمو!! كانت هذه أول مرة اسمع هذه الكلمة من تور مثل

هذا... إحنا معجبين بكتابات حضرتك قوى ربنا يديلك الصحة!! انضمت إليه فتاة رائعة الجمال مكتملة الأنوثة من التيب الذى يعجبنى فإذا بها تحيطنى بذراعيها وتقول لى.. أنا بحب حضرتك زى بابا بالضبط!! وأتى الجرسون الشهم الذى لا أعرف سببًا لشهامته وهو يهشهم من حولى... ابعدوا شوية عن عم الحاج علشان النفس ياجماعة، ده راجل كبير.. وممكن يفطس!! ماذا حدث ياناس أنا لم أفعل شيئًا سوى أننى شلت الصبغة!! هل كبرت إلى هذا الحد.. وسمعت الجرسون وهو يكلم أحدهم.. مشيرًا نحوى... ربنا ما يكتب على حد ياجدعان... العجز وحش!! فقمت من مكانى لسعته قفا من النوع القوى الذى يثبت أننى لا أزال فى ريعان شبابى... وخلاص.. لم أعد أتحمل ... إنها مسألة قاتلة أن نكبر فجأة ونشيخ فجأة... وجريت من المقهى على الحلاق... واصبغ ياجميل.... اصبغ، وخرجت من عنده وأنا فى كامل حيويتى متجهًا بثقة إلى النادى الأهلى لكى أنضم إلى فريق تحت 21 سنة.

أعزائى سأبدأ من الآن من هذه اللحظة... وداعًا للوقار... والشيب... والحرص الزائد... وأهلاً بالصبغة والخناقات والأكشن... وإنى من هنا أوجه تحذيرًا شديد اللهجة للواد التوربينى والواد السفاح بتاع المعادى.. لم نفسكو ياد أنت وهوه... أبو حجاج نزل لكوا بأه... القطر خلاص طلع والراجل يقف قدامه... واللى خايف... يروَّح.

كيف أصبحت كاتبًا؟

يطيب لكثير من الكتاب وهو يكتبون لنا عن نشأتهم، أن يظهروا لناوكأنهم ولدوا من بطون أمهاتهم كتابًا... ومفكرين... ولقد قرأت لكتاب يصفون لنا رحلة طفولتهم يقولون فيها إنهم كانوا يأتون بأفعال فى طفولتهم، تؤكد بما لا يجعل هناك مجالاً للشك أن هذا الطفل المعجزة... سيصبح كاتبًا فى النهاية... ولقد تورطت أنا شخصيًا فى أشياء من هذا القبيل، وكتبت منذ عدة سنوات عن ملامح الكتابة التى ظهرت آثارها على شخصى منذ أن ولدت.. فلقد كنت أنام واضعًا يدى تحت رأسى... تمامًا مثل صورة أحمد بك شوقى أمير الشعراء... وأننى كنت حينما أبكى لا يسكتنى لا شخشيخة ولا بزازة... وإنما ورقة وقلم أو قصيدة للمتنبى.

وإنى أعترف لكم الآن بأن كل هذا (التهجيص) لم يكن له أى علاقة بالحقيقة.. والحقيقة أننى كنت طفلاً عاديًا جدًا.. أقرب إلى الرزالة منِّى إلى أى شىء آخر.. ولقد قلت أيضًا إننى كنت منذ نعومة

أظافرى أحلم بأن أكون كاتباً... وهذه أيضًا كذبة... ففكرة أن أكون كاتباً هى فكرة لم ترد على خاطرى حتى كتابة هذه السطور... ولم تكن الكتابة سوى هبوط اضطرارى على الحياة بعد أن فشلت فى كل شىء، تمنيت أن أكونه.. وكانت فكرة أن أكون ضابطًا بالجيش فكرة ملحة... لطفل ولد فى حضن ثورة يوليو... خصوصًا أن على ابن الجناينى دخل الجيش وعلق الرتب دون أى وسائط فى (رد قلبى) مما أعطانى أملاً كبيرًا فى أن أحقق أمنيتى.

ولما كانت إمكاناتى الجسمانية عقبة حقيقية فى أن أصبح ضابطًا، فلقد تخليت مرغمًا عن الفكرة مستبدلاً إياها بأن أطلع (دكتور)... ولكن مجموعى فى الثانوية العامة كان يؤهلنى لأن أصبح مريضًا وليس طبيبًا... فكرت بعدها فى الغناء... متخيلاً حياتى الليلية بين الأفراح والفتيات والديسكوهات ومدير أعمالى يلهث خلفى... ليس له عمل سوى أن يقول لى كل شوية... أولع لك سيجارة يانجم... ولكن الظروف المادية حالت بين أن أكون مطربًا... فاتجهت إلى التمثيل... وفى امتحان المعهد قال لى الأساتذة العظام سعد أردش وكمال ياسين وكرم مطاوع وزكريا سليمان... إننى الوحيد الذى لم تختلف اللجنة عليه.. وكان رفضى بالإجماع.

نسيت أن أحكى لكم عن محاولتى لكى أكون لأعب كرة قدم... حينما انضممت لمدرسة الزمالك الكروية... ولم تكن الخلافات

الإدارية فى النادى موجودة أيامها... والتى كادت تنشب بسببى... حينما نادانى مدير الكرة... وأنا فى الملعب... وسألنى.. إنت بتعمل إيه هنا!! فقد أعتقد أننى واحد من الجمهور تسلل إلى المباراة... بينما والله أنا كنت بالعب... وفى جلسة مصارحة مع نفسى.. حاولت أن أعرف أنا ماذا أريد أن أكون بالضبط؟ باختصار كنت أريد أن أكون شيئًا مشهوراً يكسب فلوسًا كثيرة وتحبه البنات جدًّا... ولقد أدركت تمامًا أننى فشلت فى كل ذلك... فقررت بسرعة.. أن أفكر بطريقة عكسية وأحاول أن أكون شيئًا مغمورًا يكسب فلوسًا قليلة ولا تحبه البنات إطلاقًا... فإذا بى أصبحت كاتباً.

ولقد سألنى أحدهم لماذا لم تشتغل بالسياسة؟ وهو سؤال يحمل فى طياته كراهية دفينة لشخصى... فقلت له... أكون وزيراً مثلاً... أو رئيسًا للوزراء حتى... هذه وظيفة غير مضمونة ثم إن السياسى هو شىء مشهور يكسب فلوسًا كثيرة وتحبه البنات جدًّا... وينتهى غالبًا، فى السجن ثم إن العمل السياسى يحتاج إلى مواهب خاصة أهمها التفنن فى الكذب.

ولقد سئل مرة (بسمارك) السياسى الألمانى الأشهر عن السر فى نجاحه فى عالم السياسة... فأجاب (الصدق) فلما قيل له.. كيف والسياسة.. ما هى إلاَّ مجموعة من الأكاذيب؟.. فقال.. نعم الصدق هو خير السياسات، ولكنى أصدق بأسلوبى الخاص.. فقد اتفق

الناس على أن السياسى الداهية هو أستاذ بارع فى الكـذب والمراوغـة، فكان خصومى يظنون دائمًا أننى أكذب... وبذلك يقعـون تحـت هـذا الوهم فى أخطـاء جـسيمة... فأنـا أقـول صـدقًا وهـم لا يـصدقوننى ويتصرفون على هذا الأساس.. وكان أول تصريح يصرح بـه بـسمارك بعد هذه المقابلة تصريحًا كاذبًا.. ظنـه خـصومه صـدقًا وتـصرفوا عـلى أساسه.. وأنى لأعجب فى النهايـة مـن ذلـك الهجـوم الـشديد الـذى يتعرض له الكتاب وأتعرض له أنا برضه.. من كتاب آخـرين.. بـرغم أننا جميعًا فى مركب واحد.. تضم كـل الفاشـلين فى المجتمـع الـذين لم يجدوا لهم عملاً آخر... غير هذه المهنة.

ومن البرد.. ما قتل

أوتسمون كل هذا بردًا؟! فقط دور برد؟! ياااه... ياظلمه ياجبارين... ذلك الصداع الرهيب الذى يدق رأسى باستمرار وتلك الآلام المبرحة فى العظام والمفاصل وجسمى كله... وزورى الذى صار يصدر صوتًا أبشع من الشكمان المخروم، والدوخة والهزال والغثيان والهذيان... كل هذا تسمونه بردًا؟!!! إن تهوين الأمور بهذه الطريقة مسألة سخيفة فعلاً.. تخيلوا حالتى وأنا أُحتضر تقريباً وإذا به يأتى بكل بساطة ويقول لى... لمون بأه!! هه!! واغلى لبان دكر... ماذا أفعل بالله عليكم أمام بلادة حس بهذه الصورة؟ لا يمكن أن يكون قد مر بما أشعر به الآن.. وإلاَّ لكان أكثر انزعاجًا أو اهتمامًا، إننى أموت يا اخوانا... روحى ح تطلع... الحقونى... وينهمر العرق الغزير على جسدى كله.. وأنا فى شبه غيبوبه.. فأسمع من يقول.. مادام عرق يبأه خلاص البرد ح يطلع... آه... من هذا الذى انسحب من لسانه... حتى فى اللحظات الأخيرة هناك من يتدخل فى حياتى برضه، ويمر

شريط حياتى أمامى بسرعة فى تلك اللحظة شديدة الخصوصية وأنا أودع بعينى.. من يقفون حولى بجوار السرير، وكلهم يؤكدون إننى زى الفل وأنه مجرد دور برد!! ولم يشعر بحالتى إلاَّ المدام... رفيقة العمر.. التى همست فى أذنى.. ما تنساشى تكتب شقة المهندسين لبنتك عشان ما تتبهدلش من بعدك.. ويبدأ الورثة إخوتى فى زيارتى.. واحدًا تلو الآخر.. تزداد الكحة اللعينة.. وتعلو... وتعلو فى كريشندو حتى تشعر أن الكحة الآخيرة هى التى سيسقط فيها البطل التراجيدى الذى هو أنا فأسمع أحدهم يقول... معلش... العذاب ده بيخلص من الذنوب اللى عليه... وهكذا أسبوعان من العذاب والكحة والألم الذى لا يطاق... والأفلام الأبيض واسود فليس أمامى سوى الرقاد على السرير ومشاهدة التليفزيون.

كل من يمثلون أمامى على الشاشة توفاهم الله... أشاهد إسماعيل ياسين فأقول الله يرحمه... يطلع الريحانى... فأترحم عليه.. ثم أقرأ الفاتحة لفطين عبدالوهاب وبديع خيرى... آه ياربى... أشعر أن برنامجًا عن مشوارى الفنى سيعرض قريباً فى روتانا زمان... وسيطلع فى البرنامج النجم الكوميدى أحمد آدم وطلعت زكريا وصلاح عبدالله رفاق السلاح وهات ياكلام عنِّى... وبعدها سيأخذ كل منهم ظرفًا محترمًا ويمضى حار ونار فى جتتهم أما فى الصحافة.. فسيكتب أحد النقاد ... إننى لم أكن كاتبًا ذا أهمية ولا أستحق تلك الضجة كلها بعد

موتى.... أما فى جريدة أخرى فسيكتب أحدهم رحل كاتب الزعيم، وسينشر مع الخبر صورة كبيرة لعادل إمام طبعًا وسيقول ناقد آخر.. إن موت الكاتب هكذا فجأة بعد إصابته بدور برد لم يكن مبررًا دراميًا.. وأن هذه (الموته) مسروقة بالملى من قصة موت موظف للكاتب الروسى انطون تشيكو ف... وأن المرحوم لو كان درس الدراما لكانت نهايته أكثر واقعية ومنطقية من تلك النهاية .المسلوقة وخصوصًا أن دور البرد الذى لعبه الكاتب لم يكن متناسبًا معه على الإطلاق.

إن خبرًا عن موت كاتب لا يهم القارئ كثيرًا ولذا ستتجاهل معظم الصحف الخبر تمامًا... وكأنه لم يحدث.. وستصدر الصحف بأخبار عن هيفاء وهبى وجاد شويرى.. والصراع على أفلام الصيف ومسلسلات رمضان.. تلك هى روعة الحياة.. وعظمتها.. لا يهم فيها أنا ولا أنت ولا أى شىء.. لا التاريخ مهم.. ولا الجغرافيا.. ولاتصدق أى شىء فيها هزار.. والمصحف الشريف الدنيا دى هزار.

كل هذا يا أعزائى.. وتسمونه دور برد!! حرام عليكم..

لقد تغيرت تمامًا

لا أعرف كيف حدث هذا؟! كل شيء تم فى لحظة، لقد تغيرت فى لحظة واحدة، صرت شخصًا آخر، أقسم بالله العظيم إننى اندهشت من نفسى، صرت عنى غريبًا كما قال الشاعر العظيم أمل دنقل، والحكاية أننى كنت أضيق بالنقد، أضيق جدًا واعترف بذلك، كان النقد يخنقنى يملؤنى بذلك الشعور بالاضطهاد، وفجأة صار النقد يسعدنى، حتى الهجوم علىَّ صار يفرحنى جدًا، أفقت على هذا الإحساس الرائع فجأة، كمن يفيق من نوبة حرارة عالية على العرق الغزير، تخيلت لو أننى طوال رحلتى فى الكتابة لم يهاجمنى أحد: ماذا كان سيصبح مصيرى،، أتأمل بداياتى الركيكة وأتعجب، ماذا لو كانوا تركونى هكذا! بالتأكيد كنت سأصبح الآن لاشيء، لقد أنقذونى من الهلاك، وهل أنا الآن صرت شيئًا؟!

لا أعرف، ربما لازلت مستمرًا فى ركاكتى وأخطائى وهم لا يزالون يهاجموننى، إذن هناك أمل فى أن أصبح شيئًا يومًا ما... ولنفرض يعنى

أننى عشت ومت دون أن أعمل شيئًا له قيمة، ألا يكفى أننى

حاولت؟! إن المحاولة نفسها، شىء. لماذا لم أكن أتقبل النقد؟! إن الإنسان كائن يتنفس ويأكل ويشرب وينقد، ألا نعترض نحن على السيناريو الإلهى الذى رسمه لنا الله سبحانة وتعالى!! ألا نقول كان المفروض أن نصبح أغنى من ذلك أو أسعد حالاً!! فما بالك بسيناريوهاتنا الركيكة التى نكتبها بعقولنا القاصرة، ولا نريد لأحد أن يعترض على أى شىء فيها؟! ألا ننقد نحن الحياة فى كتاباتنا؟! لماذا إذن نضيق بالنقد؟ حتى أعظم الكتاب ضاقوا بالنقد وبالنقاد، شكسبير نفسه قال (أهو ناقد؟... بل هو حارس ليلى) وتولستوى العظيم قال: (إن شيئًا لا يعمل على تشوية الفن كتلك السلطات التى يعطيها الناقد لنفسه) لاشك أن الإنسان يحب الثناء والإطراء عليه وعلى أعماله، ولكن الحديقة الجميلة إذا ظللنا نتأملها بإعجاب دائم دون أن نمد أيدينا إليها ونقلم أشجارها لصارت خرابة موحشة.

وقبل أن يتلقفنى أحد النقاد الآن ساخرًا من كلامى هذا، متهمًا إيَّاى بتواضع زائف ماكر، أطلب مزيدًا من الثناء كما قال الأستاذ العقاد عن رفيق مشواره الكاتب العظيم إبراهيم عبدالقادر المازنى، حين قال عنه!!. كأنه أراد أن ينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه، وأن يجحد حقه ليثبته له الناس، وقد رد عليه المازنى فى كتابه (حصاد الهشيم) قائلاً: (اعلم أنك إذا أنزلت نفسك دون المنزلة التى تستحقها

لم يرفعك الناس إليها، بل أغلب الظن أنهم يدفعونك عما هو دونها أيضًا ويزحزحونك إلى ما هو وراءها لأن التزاحم على طيبات الحياة شديد).

هكذا تأكدتم أننى فعلاً صرت أحب النقاد، وأحب النقد مهما كان عنيفًا جارحًا، أين ذهب انفعالى وأين ذهبت ثورتى؟! ما هذا الهدوء الذى يتملكنى وأنا أقرأ شتيمتى بعينى بمنتهى السعادة؟! إن حياتنا كلها قائمة على النقد، نحن ننقد تصرفات أبنائنا، وهم ينقدوننا، نحن ننقد لاعب الكرة والسياسيين ورجال الأعمال، وحتى أنفسنا، ألم تقل لنفسك ذات يوم أناإيه اللى قلته ده!! أو أنا إيه اللى عملته ده!! إن الكاتب يقف وحيدًا بين فريقين: النقاد والجمهور، وكل منهما يشده بحبل من طرف،، النقاد يريدونه أن يفعل شيئًا، والجمهور يريده أن يفعل شيئًا آخر. لو ترك أحد الفريقين الحبل لسقط الكاتب فورًا على الأرض.

قال لى صديقى الناقد مبتسمًا فى شك،، مش عارف، أنا حاسس كده إن دى ثقة زيادة عن اللزوم،، بداية غرور، يعنى إيه الشتيمة تسعدك؟! يعنى ما بيهمكش حد؟!

قلت له مبتسمًا برضه، ياحبيبى حتى فى دى عاوز تنقدنى كمان!! قال ما هو لو ما ضايقكش النقد يبأه مش حيأثر فيك، يبأه مش ح يغيرك يعنى كأنه مالوش لازمة، قلت له ياسيدى العفو، كل كلمة

تكتب عنِّى أو عن عمل لى صرت أتأملها بكل هدوء وموضوعية، هو أنا لازم يجيلى الضغط والسكر ويحصل لى اكتئاب عشان يبأه النقد أثر فيَّا، وبعدين ياأخى هو أنت شايف النقد اللى بنكتبه كله مضبوط!! بدأت انفعل.. بدأت أعرق، ريقى نشف.. بدأ صوتى يعلو.. ما تقرأ يا أخى اللى كاتبينه، اللى مش مستظرفينى لله فى لله، واللى مش نازل له من زور... واللى ما رضيتش أطلع معاه فى برنامج وبدأت أصرخ: ده حرام ياأخى.. انتو بتهدونا ليه.. وانفجر صديقى فى الضحك، وقال: بس كده أنا اتطمنت عليك.

الحال من بعضه

أيها القارئ العزيز.. عفـوًا.. مـا الـذى جـاء بـك إلى هنـا؟! أنـت اشتريت الجريدة.. وطالعت بختك فى البداية طبعًا.. ثـم مـررت عـلى الوفيات وتنهدت فى أسى.. والله الحـى هـو الـلى تعبـان والـلى مـاتوا استريحوا!! ثم ألقيت نظرة على عناوين الأخبار فأدركـت أنـك كنـت تعرف ذلك كلـه مـسبقًا وشـاهدته عـلى القنـوات الفـضائية امبـارح بالليل.. ذهبت إلى صفحات الرياضة وحقدت عـلى اللاعبـين الـذين يأخذون الملايين.. ثم دخلت على صـفحات الفـن ربـما لفـت نظـرك صورة لهيفاء وهبى أو نانسى عجرم.. توقفت عندها قليلاً، ثـم قلبـت الصفحة حينما دخلت عليك المدام وعدلت نظارتك..وعملت نفسك مندمجًا فى قراءة الصفحة الاقتصادية.. ثم ها أنت معنـا هنـا.. فى بـاب الساخر أهلاً وسـهلاً.. أنـت طبعًـا تريـد أن تـضحك أو عـلى الأقـل تبتسم.. فالهموم على كتفيك تنوء بحملها الجبـال.. لا أريـد أن أقلـب مواجعك... الأحوال السياسية.. والدينية والأخلاقية والمادية... كلها

لا تسر.. باختصار أنت تعبان... قرفان.. مش طايق نفسك فقلت تروح ليوسف معاطى فى الساخر تشوفه كاتب إيه النهارده.. على الله ما يستظرفش.. أنا مش ناقصه هو راخر حاكم اللطافة بأت ماليه البلد.. ولكن ياعزيزى... عذرًا.. هل تعتقد مثلاً أننى فنزويلى أو من كوالالامبور؟! ألست مقيمًا معك فى نفس البلد ياعم الحاج.

آكل من أكلك وأشرب من شربك، وملسوع من كل ما أنت ملسوع منه!! تأتى لى هكذا بكل بساطة.. وتفتح الباب.. مش هنا برضه باب الساخر!! هيا.. أضحكونا بأه.. حاضر... عنيا أنا أعلم أنها مهنة يعلم بيها ربنا... تريد أن تضحك... شوف ياسيدى أترك نفسك لى تمامًا إنها مسألة غاية فى البساطة.. افتح فمك واضحك ضحكة كبيرة مجلجة.. هكذا فجأة... بدون أى مقدمات... لا يهمك من هم حولك.. استغرق فى الضحك حتى تدمع عيناك.. وأبدأ هذا التمرين أمام المرآة... وحدك.. بعد عدة مرات ستجيدها تمامًا.. ثم افعلها أمام الجميع.. لا تشغلنك نظرات الشك والريبة التى تحيط بك لا تهتم بأحد.. اضحك بلا سبب.. من أربع إلى خمس مرات يوميًّا، على الأقل وأحب أن ألفت نظرك أن طبيعة ضحكتك ستحدد شخصيتك فهؤلاء مثلاً الذين يضحكون لتحت هكذا هى هى هى.. يقول علماء النفس إنهم سفلة منحطون، أما الذين يضحكون هكذا هو هو هو فهؤلاء نكديون يقفلون أفواههم ولا يريدون للضحكة أن

تطلع أما الذي يضحك هكذا ها ها ها ها مثلى ومثلك فهم طيبون منفتحون يتركتون الضحكة تنطلق بلا قيود... لاحظ أيضًا أن هناك من يضحك هكذا كخ كخ كخ... لابد وأنك قابلت أمثال هؤلاء.. وهؤلاء ياعزيزى خذ بالك منافقون.. إنه يريد أن يسمعك أنه يضحك دون أن تكون الضحكة بداخله فعلاً... هكذا أنت معك كاتالوج الضحك.. هيا اختر ضحكتك.. وأديها.. هيا فى البداية سيندهش أولادك وزوجتك وأصدقاؤك... لا تقلق سيعتادون ذلك بسرعة.. بل وسيشاركونك الضحك كمان، دون أن يسألوا عن السبب.

أشياء كثيرة بدت غير منطقية حينما ظهرت.. ثم صارت شيئًا عاديًا جدًا... أخوك يفعل ذلك.. أنا أضحك كل ساعتين بالضبط.. لقد درّبت فمى على ذلك.. ما إن تأتى ساعة الضحك حتى تخرج الضحكة من فمى كما يخرج الديك من ساعة الحائط هكذا.. فى اجتماع مهم.. فى سرادق عزاء.. وأنا ألقى محاضرة.. وأنا ماشى لوحدى فى الشارع.. والحمد لله لم يحدث لنا شىء.. لسه شغالين زى الفل.. اندهش قليلاً الفنان فرج حسن وأنا أسلمه المقال حينما وجدنى مسخسخ على روحى من الضحك، واعتقد إنى شارب سيجارتين. وابتسم عامل الأسانسير فى خجل وهو يرانى منفجرًا فى ضحكة طويلة وقال لى سائق التاكسى وهو يتأملنى وأنا أضحك.. ربنا يحظك

يابيه.. هى مش ناقصة عكننة صحيح!!... ولماذا يعنى الضحك هو الذى نبحث له عن سبب حتى لا يصبح قلة أدب؟! وهل ترى سيادتك منطقًا أو مبررًا لكل ما حولنا من متناقضات؟! إننا لا نرى سوى قلة أدب من غير سبب.. شىء عجيب إننا لا نلتفت إلى رجل يبكى وحده... بينما يلفت نظرنا رجل يضحك وحده.. بعد إذنك ياعزيزى.. ميعاد الضحك فات... وليكن فى معلومك أن الكل يفعل مثلى الآن وستصبح أنت الكئيب الوحيد.. هل تعلم حقيقة ماحدث فى وسط البلد.. لا لم يكن تحرشاً جنسيًا.. كان المواطنون يزغزغون بعضهم بعضًا.

يوسف معاطى

كاتب مصرى ساخر وسينارست معروف له عديد من المؤلفات و والأفلام والمسلسلات والمسرحيات:

1- المؤلفات:

- اسأل مجرّب
- غيَّر يابنى
- آه.. يادماغى
- تحب تكره أمريكا
- نجوم فى عز الظهر
- صايع بالوراثة
- أنا لا أكتب ولكنى أتأمل
- بنت الإيه
- عسل النبات
- عفاريت
- الفن وأهله
- ح نعيش كده ونموت كده

- كوابيس مضحكة
- حصل خير
- ماتشيلش فى نفسك

2- أفـــلام:

- طباخ الريس
- السفارة فى العمارة
- عريس من جهة أمنية
- معلش إحنا بنتبهدل
- مرجان أحمد مرجان
- التجربة الدنماركية
- الواد محروس بتاع الوزير
- حسن ومرقص

3- مسلسلات:

- سكة الهلالى
- آن الأوان
- عباس الأبيض في اليوم الأسود
- يتربى فى عزُّو

4- مسـرحيات:

- بودى جارد
- عسل البنات
- حب فى التخشيبة
- الجميلة والوحشين
- لأ لأ.. بلاش كده
- بهلول فى أسطنبول
- شىء فى صبرى
- بوبى جارد

Sun 10 Juli 2011
Riyadh

وضاع العمر ياوضنى

من بين المشكلات التى ملأت حياتنا حاليًا، يختار يوسف معاطى الأبرز منها والأكثر إيلامًا، ويضعها أمام أعيننا لنتأمل أوضاعنا، وإلى أين وصلنا، وكيف وصلنا إلى هذه الحال، هل كان يتخيل أحد أن الأهرامات المصرية العظيمة تخرج من عجائب الدنيا السبع، على يد رجل سويسرى، وتدخل ضمن التصويت عليها، وبالتليفون، وكأنها تدخل مسابقة ستار أكاديمى، وكذلك نحن نجهل تاريخنا وهو مرسوم أغلبه على ظهر العملات الورقية التى نتداولها كل يوم، وغيرها من العادات السيئة التى نمارسها دون أن ندرك خطورتها.. يوسف معاطى يلتقطها بحسه الساخر وروحه الحية، فيضحكك منها وليس عليها، وهى الخطوة الأولى لتعرف نفسك، فلا تقع فى الخطأ مرة أخرى.

• الأستاذ يوسف معاطى كاتب ساخر يعرفه قراء الصحف والمجلات.. ويستمتع بأعماله الكوميدية مشاهدو التليفزيون ورواد السينما والمسرح.

• وقد أصدرنا له من قبل مجموعة من كتبه فى الأدب الساخر، أشهرها: الفن وأهله.. عقاريت.. صابع بالورانة.. وهى كتب متميزة حازت إقبالاً من القراء فى مصر والبلاد العربية.

• من أشهر مسرحياته الكوميدية: حب فى التخشيبة.. الجميلة والوحشين.. بوبى جارد .. بودى جارد .. بهلول فى استامبول .. لألا بلاش كده .. وهى مسرحيات ناجحة قام ببطولتها كبار نجوم الكوميديا.

• كما كتب العديد من قصص وسيناريوهات الأفلام السينمائية الكوميدية أشهرها: التجربة الدانمركية.. عريس من جهة أمنية.. السفارة فى العمارة.. الواد محروس بتاع الوزير.. ياتخب ياتقب.. حاتخب وتقب.

• كما ألف عددًا من المسلسلات الناجحة التى كان لها أثر كبير داخل المجتمع العربى مثل: عباس الأبيض فى اليوم الأسود.. سكة الهلالى.

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
11
اللبنانية